الكنيسة المارونيّة في عالم اليوم

منشورات
جامعة سيّدة اللويزة
NDU PRESS

الكنيسة المارونيّة
في عالم اليوم

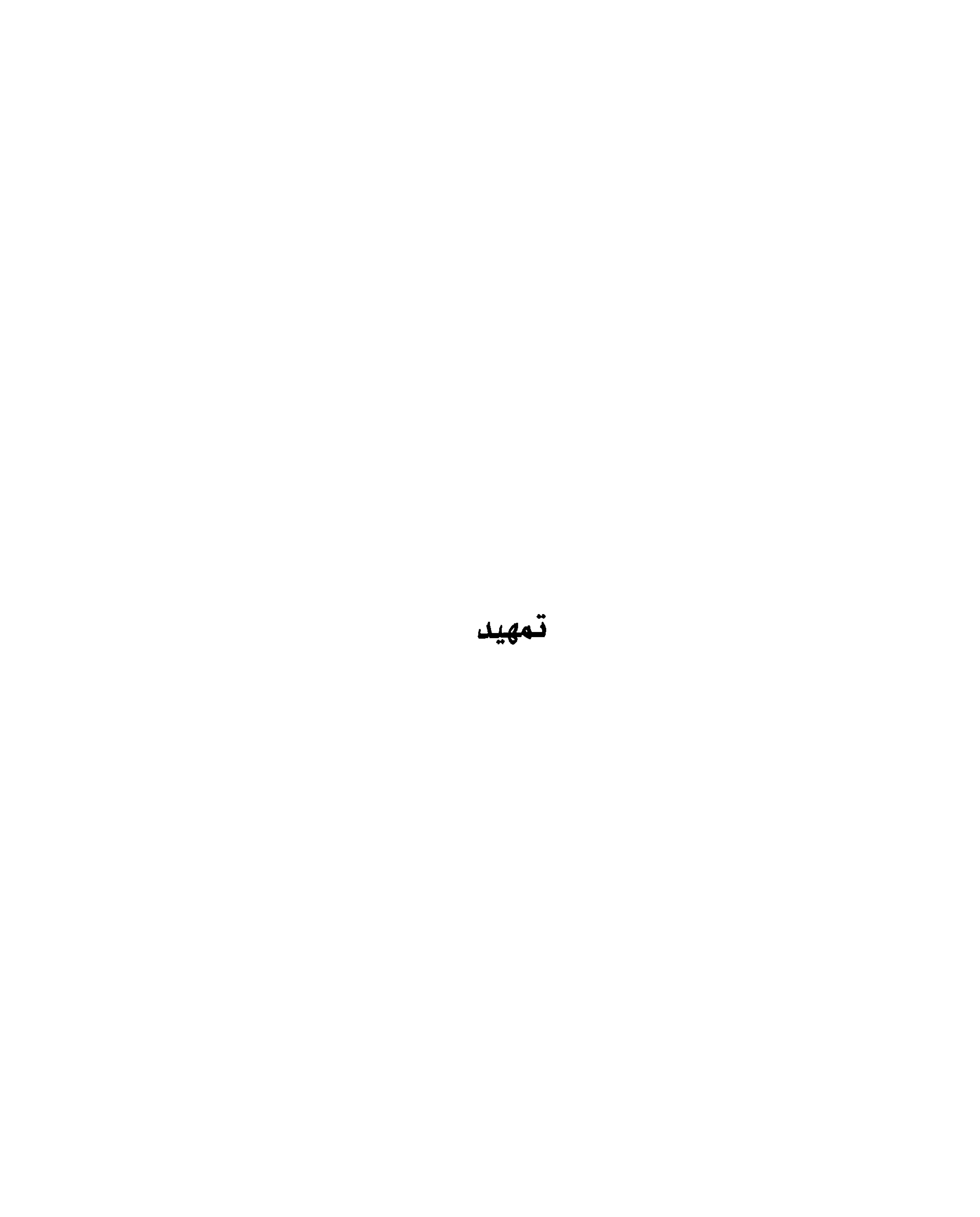
تنظيم جامعة سيّدة اللويزة – زوق مصبح
٢٧ شباط و٥ آذار ٢٠٠٤

NDU PRESS
منشورات
جامعة سيّدة اللويزة

الكنيسة المارونيّة في عالم اليوم

تحرير **جورج مغامس**
منشورات جامعة سيِّدة اللويزة -
ص.ب.: ٧٢ زوق مكايل - لبنان
تلفون: ٠٩/٢١٨٩٥٠/١
فاكس: ٠٩/٢١٨٧٧١
www.ndu.edu.lb
الطّبعة الأولى ٢٠٠٤
القياس ١٧×٢٤ سم
تنفيذ مطابع معوشي وزكريّا

ISBN: 9953-418-52-7



تمهيد

سهيل مطر

هذا اللقاء

هذا اللقاء، بحضور هذه المجموعة، يتجاوز لقاءاتنا المعتادة أو مؤتمراتنا في الشأن العام والقضايا الوطنيّة.

إنّه لقاء يبحث في جوهر هويّتنا وفي خاطرنا المتعب وفي تطلّعاتنا المستقبليّة. ويأتي هذا اللقاء في سياق مسيرة المجمع البطريركيّ المارونيّ؛ وبذلك، يستمدّ من الروحانيّة المارونيّة شجاعة الإشارة إلى التحدّيات وطرق التغلّب عليها.

أيّها الأصدقاء

من يستعرض الواقع في هذه المرحلة، ومن خلال وسائل الإعلام، يقع على ما يلي، وبجدّية لا تقبل الاستخفاف:

١- جلسات في مجلس النوّاب تظهر انحلال النظام اللبنانيّ القائم وفساد أهله، وسخافة ما وصلنا إليه من استهتار.

٢- سقوط الاهتمامات اللبنانيّة الشعبيّة إلى حدّ التلهّي والتسلية مع "ستار أكاديمي" وقرف مطلق من العمل العام وانزلاق نحو التفاهة والسطحيّة.

٣- فضائح وفضائح، وأرقام وأرقام، ولا أحد يخاف من أحد.

٤- في هذا الوقت يعلن الڤاتيكان ١٦ أيّار موعداً لتقديس راهب مارونيّ من لبنان هو نعمة اللّه الحرديني، وهذا رمزٌ يحمل الكثير من المعاني. ونحن في هذه الجامعة، نجتمع هنا بمباركة بكركي التي تواكب هذا اللقاء وتنتظر منه الكثير، وهي التي قالت لرئيس الجامعة الأب بطرس طربيه: لتعطنا اللويزة بعض ما أعطته في المجمع اللبنانيّ سنة ١٧٣٦. نجتمع هنا إذاً لنتحدّث عن الكَنيسة المارونيّة في عالم اليوم.

أيّها الأصدقاء

لن يكون هذا اللقاء يتيماً، وكلّنا نعلم أنّنا عملنا، بحثاً ودراسة، لوضع بعض الرؤى، وسنتابع العمل ونواكب نشاطات المجمع بانتظار تشرين القادم.

ولكن، يبقى أن نقول:

- لن نرمي الكرة في ملعب أحد. هذا هو لبنان وعلينا دور ومسؤوليّة.
- لن نستقيل من مسؤوليّة البحث، لنحمّلها لرجال الدين حيناً، ولرجال السياسة والاقتصاد أحياناً؛ فنحن بحكم انتسابنا إلى هويّة فكريّة معيّنة، نتحمّل هذه المسؤوليّة.
- لن يعفينا المستقبل من خطايانا، إذا تركنا المجمع يسير نحو اللاشيء، فإمّا أن يكون مجمعاً على حجم ١٧٣٦، وإمّا لن يكون، والأفضل أن يؤجّل أو يعلّق العمل فيه.
- نحن نادمون في النهاية، إذا لا سمح اللّه، لم نوجّه المسيرة ونصوّب خطّنا المارونيّ الذي يكاد يُصاب بنوعٍ من الإرباك والتضعضع. مارونيّتنا الحاملة تراث ١٤٠٠ سنة، والأصيلة في هذه الأرض، والملتحمة بتراب لبنان، تنادينا إلى يقظة وتجديد، ودورنا أن نلبّي النداء.

عبدو القاعي

إشكاليّة البحث

بناءً على طلب الأمين العام للمجمع البطريركيّ المارونيّ، المطران يوسف بشارة، وبالعودة إلى الاقتراحات التي وردت في الدورة الأولى للمجمع البطريركيّ المارونيّ بشأن أن تتبنّى كلّ جامعة من الجامعات الكاثوليكيّة ملفّاً من الملفّات التي تمّ نقاشها خلال جلسات هذا المجمع،

وتلبيةً لدعوة جامعة سيّدة اللويزة بأن تبحث وتتعمّق في الملفّ العائد للكنيسة المارونيّة في عالم اليوم،..

نظّمت الجامعة حلقة دراسيّة نهاري الجمعة ٢٧ شباط و٥ آذار ٢٠٠٤ لمناقشة هذا الملفّ. وطُرحت في سبيل ذلك الاشكاليّة الآتية:

عالم اليوم وتحوّلات الحداثة: دور الكنيسة المارونيّة

١- الاطار العام للإشكاليّة

الحداثة التي طبعت التوجّهات الثقافيّة للقرن العشرين تتعرّض اليوم لتحوّلات كبرى، أحدثت أزمات بنيويّة في المجتمعات، تنعكس بشكل رئيسيّ على مستويات خمسة، هي:

المستوى الثقافيّ: أزمة الثقافة

المستوى المواطنيّ: أزمة المواطنيّة

المستوى الدينيّ: أزمة الإيمان

المستوى الاقتصاديّ: أزمة العمل

المستوى المعرفيّ: أزمة العلم

فكيف يمكن للكنيسة المارونيّة أن تساهم بشكل فاعل في مواجهة هذه التحوّلات التي تتعرّض لها الحداثة، وفي معالجة الأزمات التي تنتج عنها عبر الأدوار الدينيّة والدنيويّة التي نقوم بها في المجتمع؟

٢- بعض من ملامح التحوّلات والأزمات الناتجة عنها

١- الحداثة وتحوّلاتها

تحت هذا العنوان يفترض التمييز بين الحداثة والنهضة والتجدّد والعلم والنقد وتطوّر مفاهيم الحقوق الإنسانيّة والسياسة والاقتصاد.

فالحداثة، كما حدّدها كانط (Kant)، هي في النزعة إلى النقد، وصولاً إلى التحليل العقلانيّ لكلّ شيء، وهي أيضاً في اعتبار الانسان غاية كلّ شيء.

المجتمعات الحديثة هي مجتمعات سعت شعوبها إلى الانخراط في هذين الاتجاهين، ما أدّى اليوم إلى ظهور إشكاليّة جديدة للحداثة، برزت من خلالها العلوم التكنولوجيّة كظاهرة أحاديّة تستقطب الفكر البشريّ، كما برزت أيضاً أحاديّة السوق المعولم الذي عطّل قدرات الشعوب على اتخاذ قراراتها وبناء سياساتها بيدها.

وعليه، يفترض أن تؤكّد الكنيسة المارونيّة اليوم على أنّ الحداثة تتطلّب إعادة نظر مفهوميّة أساسيّة، يُعمل من خلالها، ليس على نقد التقليد فحسب، بل على نقد النقد أيضاً، أي نقد كلّ منتجات القرن العشرين، تأميناً لعودة النهضة الانسانيّة والايمانيّة، ليس من طريق العقلانيّة فقط، بل من طريق الوجدان الإنسانيّ والضمير والإيمان أيضاً.

فعالم اليوم يتوق إلى بحث إيمانيّ يتخطّى البحث العقلانيّ. والبحث العقلانيّ يتوق إلى آليّة نقديّة تتخطّى الآليّة التكنولوجيّة. والبحث التكنولوجيّ يتوق إلى إنسان يسعى إلى بناء سعادة العيش أكثر من بناء وسائل الحروب والدمار.

ولذا، فإنّ على الكنيسة المارونيّة، في علاقتها مع الحداثة، أن تشارك في البحث مع الكنيسة ككلّ ومع كلّ العاملين في حقل العلاقة بين الايمان وتطوّر العلوم الانسانيّة، لكي تتمكّن من أن يكون لها مكان ومكانة مع شبابها في معترك الحياة، الحياة التي يعيشها هؤلاء الشباب ومن حولهم تتزايد الأسئلة الكبيرة، وليس من يساعدهم على تفكيكها وحلّ رموزها.

٢- الأزمات

أزمة الثقافة

من المفترض اليوم، وفي ضوء التحوّل التكنولوجيّ الحاصل، وتقدّم العلوم الانسانيّة، وبخاصّة في مجاليها النفسيّ والاجتماعيّ، والبلبلة الثقافيّة التي ترافقها، التمييز دون الفصل بين الثقافة وبين الانتماء والهويّة والأصول والجذور، على أنّ الأبعد، في الزمن والتكوين، بين هذه المصطلحات، هو مصطلح الجذور.

الجذور: هي كلّ ما يعطي ويأخذ، لكنّها لا تظهر في التعبير الخارجيّ. هي في الجينات لدى الكائنات الحيّة.

الأصول: هي متعدّدة وتعود إلى أحداث أساسيّة تطبع الجذور بطابعها الخاصّ، وتؤثّر فيها بشكل مميّز.

الانتماء: هو في الروابط التي تصل الانسان بذاته وبمحيطه، إمّا بشكل يسبق وجوده الذاتيّ الشخصيّ (أهل وأنسباء...)، وإمّا بشكل إراديّ (جماعات وجمعيّات...).

الهويّة: هي مشروع الذات، ومشروع الجماعة. هي مشروع كلّ كائن فرديّ أو جماعيّ. هي مشروع لأنّها تَشَكُّلٌ دائم عبر الأحداث والإرادة الذاتيّة والموروثات من الجذور والأصول والانتماءات المختلفة البدئيّة والإراديّة.

الثقافة: هي تعبير عن حال الجذور والأصول والانتماء والهويّة، تترجّح بين صورة تقليدها فينا وبين الصور التي نخلقها في ذاتنا عبر سفرنا نحو الثقافات الأخرى، وحوارنا معها، واعترافنا بها، وفهمنا لمكنوناتها، واعتنائنا بصيرورتها.

ولذا، لا يمكن الكلام على الثقافة والهويّة وكأنّهما من الثوابت. من هنا الاقتراح أن يتمّ التركيز على البحث في الأصول المارونيّة ضمن المنابع المسيحيّة في إطار الجذور الابراهيميّة التي تشتمل على سائر المسيحيين وعلى المسلمين واليهود، وفقاً لمختلف أشكال التعابير الثقافيّة التي شهدتها هذه الجذور في الماضي، والتي تشهدها اليوم.

فمن مثل هذا البحث، يأتي الكلام على الهويّة والثقافة كفعل لكنيسة مارونيّة تنهل من الأصول،

وتنبعث في التاريخ عملاً حرّاً يجدّد عيش كلام المسيح وفق الظروف والتحوّلات، ويتفاعل مع الأصول المسيحيّة والجذور الابراهميّة والانسانيّة.

فالكلام على الخصوصيّة في الثقافة وفي الهويّة خطير جدّاً، لأنّ الثقافة والهويّة يشكّلان معاً ذاتيّة متحرّكة، تتعرّف على ذاتها عبر احتكاكها مع عمقها التاريخيّ وانفتاحاتها على الهويّات والثقافات المختلفة. وكلّما انفتحت الهويّة على الثقافات، كلّما تأكّدت قدرتها على الحوار بين أصولها وتفرّعات الأصول الأخرى والتعابير المختلفة الصادرة عنها، وتأكّدت كذلك قدرتها في بلوغ الجذور الابراهيميّة والانسانيّة الأخرى.

الهويّة كما الثقافة ليستا إذاً شيئاً محدّداً. هما مشروع لشيء لم يكتمل، يسعى الأفراد والجماعات لإكماله، ولن يكتمل. فهل الموارنة مستعدّون لإكمال مشروعهم، لا عن طريق ترميم الضفّة وتجميلها، بل عن طريق الجسر الذي يصلهم بالضفّة الأخرى (أي سائر الكنائس والأديان)؟!

الأهمّ هو مشوارنا على الجسر، فكيف ننطلق في هذا المشوار!

نحن نعتني بترميم الضفّة وتجميلها، ولا يعنينا لا الجسر ولا التغيير الذي يحدث خلال مشوارنا على الجسر؛ وفي هذا مشكلتنا.

أزمة المواطنيّة

المواطنيّة، في الأصل، فعل مشاركة في بناء المؤسّسات. المؤسّسات عموماً اليوم تصرّ على ثوابتها، وتحول دون أيّ تدخّل في شؤونها. فهل الكنيسة المارونيّة مستعدّة لأن تفسح في المجال أمام الشباب لكي يصبحوا مُمَأسَسين (أي قادرين على المواطنيّة)، عبر إعادة النظر في بنيات مؤسّساتهم الروحيّة أوّلاً، ومن خلال تمكينهم من العمل السياسيّ في علاقتهم مع المؤسّسات المدنيّة. فالالتزام، من هذه الزاوية، ليس عملاً طوعيّاً، يقوم به الإنسان تغطية لأوقات فراغه، إنّما هو عطاء للذات في مشروع، يحقّق الفرد، عبره، ذاته والذات المجتمعيّة، فيه وفي الجماعة التي ينتمي إليها. ففي الالتزام، الكذب غير ممكن: فإمّا أن يكون المرء صادقاً، أو لا يكون. فهل سنتيح للشباب المارونيّ أن يعرف بصدق أنّ هناك مشروعاً يستأهل أن يعطي ذاته في سبيله؟!

أزمة الإيمان

الشباب ملزم اليوم في أن يعيد إنتاج إيمان أهله، لينتمي إلى جماعته الدينيّة. الإيمان يصبح أكثر فأكثر التصاقاً بالجماعة المؤمنة، فيما هو فعل تجلٍّ خلال تجربة حياتيّة فذّة يعيشها الفرد في علاقته مع المعطيات الدينيّة التي تصله. الايمان، يتطلّب أن نساعد الشباب في أن يكونوا ناقدين، بلا خوف لا على إيمانهم ولا على المعتقدات الايمانيّة.

الكنيسة المارونيّة مدعوّة اليوم إذاً إلى فتح باب النقد في العمليّة الايمانيّة، لكي يتمكّن الشباب الذين يتعلّمون النقد في المجالات العلميّة، أن يعيشوا إيمانهم من دون خوف عليه من الفكر النقديّ، بل نساعدهم لكي يكون الفكر النقديّ المنشّط والمقوّي والمنمّي لإيمانهم. هي مدعوّة بشكل عمليّ إلى التغيير في برامجها التثقيفيّة والاعلاميّة لكي يصبح الفكر النقديّ سبيلاً إلى تعزيز الايمان. أمّا الحشود في الكنائس فليست بالضرورة ظاهرة إيجابيّة، إنّما يمكن أن تكون هروباً عاطفيّاً إلى الأمام، أو انصياعاً لما هو قائم خشيةَ ممّا سيكون بفعل الإرادة الشخصيّة.

أزمة العمل

من المعروف اليوم أنّ البنيات الاقتصاديّة وتطوّر السوق المعولمة سيؤدّيان أكثر فأكثر إلى البطالة وإلى تهميش الناس، حتى الذين يكونون قد تخرّجوا من المعاهد والجامعات بشهادات عالية. فالكنيسة المارونيّة مدعوّة اليوم لأن تبحث في مفهوميّة العمل، ليس كوظيفة فقط، يبيع الانسان من خلالها مجهوده ليحصل على لقمة عيشه، بل كنشاط ممهنن، يحقّق الانسان من خلاله ذاته ويساعد مجتمعه على تطوير نوعيّة الحياة فيه.

ثمّة مجالات عديدة، يمكن أن يلتزم بها الشباب ويقوموا بنشاطات مهنيّة، لكنّ الرأسمال غير مستعدّ لدفع ثمنها. الكنيسة المارونيّة، مطلوب منها أن تعيد النظر في قضيّة التزام الرأسمال في مجالات خلق نشاطات مهنيّة جديدة تساعد على تحسين نوعيّة الحياة: في المدينة والريف، في المدرسة والبيت، في إنتاج السلع وتوزيعها...، ولكنّها غير مربحة كغيرها في شكل مباشر.

أزمة العلم

العلم، اليوم، أصبح اختصاصاً، والاختصاص أصبح مورداً لرأس المال، إلى درجة أنّنا غدونا لا نسأل إلاّ كيف ندير الموارد البشريّة لتوفير أفضل إفادة ممكنة لرأس المال، ولتحقيق أفضل فاعليّة ممكنة له على مستوى نوعيّة المنتج.

لم يعد العلم اليوم سؤالاً نقدياً، ولا سؤالاً منهجياً. دور الكنيسة، هنا، ومن ضمنها الكنيسة المارونيّة، يقوم على أن لا تنصاع لما تقدّمه لها البنيات التعليميّة التي وضعتها قوى السوق تحقيقاً لمشيئتها، وعلى أن تسأل هذه القوى عن مصير العلم والانسان، وأن تدعو بالتالي إلى البحث في الافادات الانسانيّة من العلوم، وإلى الحدّ من سلطة الخبراء والقيّمين على المعرفة في اتخاذ القرارات وتحديد مصير الشعوب والتسبّب في تراجع الديمقراطيّة في العالم، بمعنى تراجع بناء أطر الإصغاء الى إرادات الشعوب وتفعيل مشاركتها في اتّخاذ القرار.

أزمة الإعلام

أصبح الإعلام خاضعاً إلى حدّ بعيد جدّاً لسلطتين: القوّة السياسيّة والمال. ومن دور الكنيسة، والكنيسة المارونيّة من ضمنها، ألاّ تسعى إلى أن يكون لها، لا مكان ولا مكانة، في مجرى هذين التوجّه والاتجاه، بل أن تساهم مع الشباب في وضع الأطر الحواريّة والنقديّة التي تحفّز وتؤهّل للبلوغ إلى فكّ الارتباط بين الإعلام من جهة والمال والقوّة السياسيّة من جهة ثانية، فيتمكّن الإعلام بالتالي من أن يبني ذاته على الإصغاء ونشر المعرفة وتنوير الذين يبحثون عنها.

٣- الأمور التي طرحت للنقاش في الحلقة الدراسيّة

طرحت للنقاش في هذه الحلقة الأدوار التي تقوم بها الكنيسة المارونيّة في عالم اليوم، وطلب من معدّي الأوراق حولها توضيح معالم التطوير أو التغيير في هذه الأدوار بالاستناد إلى الإشكاليّة المطروحة أعلاه.

ويمكن تفصيل هذه الأدوار كالآتي:

الكنيسة المارونيّة والثقافة: أمين الريحاني – بولس سرّوع – يوسف يعقوب
الكنيسة المارونيّة والأرض: ضومط سلامه
الكنيسة المارونيّة والتربية: سهيل مطر – عبدو القاعي
الكنيسة المارونيّة والسياسة: ميشال نعمة – جورج لبكي – منصور عيد
الكنيسة المارونيّة والشأن الاجتماعيّ: ماري خوري – نعيم سالم – الأب بولس وهبه
الكنيسة المارونيّة والقضايا الاقتصاديّة: أيلي يشوعي – فيفيان نعيمه
الكنيسة المارونيّة والإعلام: جوزف عجمي – جورج مغامس

الكنيسة المارونيّة والثقافة

د. أمين الريحاني

الكنيسة والثقافة

أبدأ بملاحظات حول النصّ المجمعيّ المتعلّق بالكنيسة والثقافة

أ. يغلب السرد والتقرير على النقد والتحليل. ذلك أنّ واضعي النص ينكبّون على تعداد الأحداث "الثقافيّة" التاريخيّة من دون تقويمها النقديّ أو تحليل مضامينها وأبعادها.

ب. يغلب التقرير على الابداع، والتراكميّة على الاستشراف، والتعداد على النفاذ الرؤيويّ، والاحاطة الاخباريّة على تحديد الموقف وصياغة الأفكار القابلة على مواجهة التحدّيات المستقبليّة.

ج. تأكيد الغياب التام لتحديد المصطلحات؛ فالنص تركنا في إبهام وغموض عميقين، بل في إشكالات فكريّة حول المعاني المعاصرة للكنيسة، وعالم اليوم، والثقافة، والحداثة.

باختصار، كنت أتوقّع نصّاً فلسفياً، وإذ بي أمام نصّ صحفيّ. لذا، سأحصر كلامي بمعنى الثقافة والعلاقة بين الثقافة والكنيسة، علّني بذلك أحاول أن أدفع بالنصّ المجمعيّ نحو إطاره الفكريّ المفترض.

لن أكرّر العودة إلى المعاني القاموسيّة واللغويّة والأدبيّة للثقافة. بل أحاول أن أعوّل على ما أفهمه بلفظة الثقافة كمواطن لبنانيّ مارونيّ عاش أكثر من نصف حياته في القرن العشرين وما تبقّى منها في القرن الواحد والعشرين، وعرف شيئاً من اللغة والآداب والفلسفة العربيّة وشيئاً مماثلاً من اللغة والآداب والفلسفة الأنكلوسكسونيّة وشيئاً آخر من اللغة والآداب والفلسفة الفرنسيّة.

الثقافة عندي تثاقف وتواصل مستمرّان، أي تفاعل ذهنيّ وفنيّ وروحيّ بين ما نتلقّاه من العلوم الانسانيّة وما تفرضه حياتُنا من استهلاك لتلك العلوم وما نتوق إليه، وفق إمكاناتنا الانسانيّة المتفاوتة، من قدرة التعاطي النقديّ مع الجوانب المختلفة للإنسانيّات.

الثقافة، كما أفهمها، فعل تحوّل تدريجيّ من استهلاك المعرفة، إلى نقد المعرفة، إلى إنتاج المعرفة. والمعرفة هنا لا تقتصر على بعدها العلميّ أو الأدبيّ أو الفلسفيّ، بل هي بالتأكيد

تستقطب أبعادها الروحيّة والدينيّة والايمانيّة حتّى الطقوس المقرّرة أو غير المقرّرة، وحتّى الممارسات القديمة والجديدة، الجماعيّة والفرديّة، التقليديّة والمعاصرة.

إنّ مسألة العلاقة بين الكنيسة والثقافة تستوجب المطابقة بين الكنيسة المثقّفة والثقافة الكنسيّة، بين الروح الثقافيّة والثقافة الروحيّة، بين الايمان المثقّف وثقافة الايمان. وإذا ما طبّقنا مبدأ التثاقف على تلك الاشكاليّة القائمة بين الهيكل الدينيّ والهيكل الثقافيّ الفكريّ لوجدنا أنّ محور هذا التفاعل يكمن في حريّة التفاعل مع المعتقدات والطقوس بحيث يتحوّل تدريجياً تقبلنا لأقوال الكنيسة ونشاطها وتاريخها إلى ممارسة شخصيّة وإلى تداخل ذاتيّ يسهم في قراءة جديدة للقول وللنص، وفي فهم جديد لهما يواكب العصر وينتقل بالقول والنص إلى إشراق حديث، وبُعد روحيّ خلّاق يستوحي ألفي عام من الايمان كما يستوحي القرن الواحد والعشرين.

في هذا الاستيحاء المتعاكس زمنياً، والمتكامل ذهنياً وروحياً، ما يستدعي البحث في معنى الحداثة ودور الكنيسة كمحرّك فاعل من المحرّكين المحدثين. يقول دومينيك أفون، المحاضر في جامعة بول فاليري–مونبلييه، إنّ "الفاعل الأساسيّ للقرن العشرين هو الحداثة التي تعتمد على معايير أربعة: القانون الايجابيّ الذي لا يرتكز على حقيقة منزلة؛ الاستقلال المتزايد بين الدين والدولة؛ القيم المعنويّة كالحريّة والديمقراطيّة؛ واستقلال العلوم عن الدين، وذلك فيما كان الدينان الإسلاميّ والمسيحيّ الفاعلين الأساسيين في القرون الوسطى".

هذا الكلام يعني أنّ محور العقل الذي تميّزت به الحركة التنويريّة وعصر النهضة قد تحوّل إلى محور النسبيّة الذي اتّسم به القرن العشرون بامتياز. وإذا كانت النسبيّة تشكّل النقيض الحاسم للمطلق، فكيف يمكنني بعد اليوم أن أوفّق بين المعنى المطلق للدين والمعنى النسبيّ للحقيقة؟ كيف يمكنني أن أبقى مؤمناً من جهة، وآخذ بنظريّة النسبيّة من جهة أخرى؟ كيف يمكن للكنيسة أن تواجه المعضلة الفلسفيّة الحديثة لتخرج من النسبيّة إلى الايمان المطلق، ومن الصفة المطلقة للإيمان إلى نسبيّة متأقلمة، متفاعلة ومتداخلة مع حرارة اللاهوت وحيويّة الطقوس والمعتقدات؟ تلك هي بنظري المعضلة التي تواجه كنيسة القرن الواحد والعشرين. ولا أعني بذلك حصراً الكنيسة المارونيّة، بل كلّ كنيسة تطمح لمواكبة العصر من جهة، وللاكتناز بجذورها الايمانيّة من جهة أخرى.

إنّ مواجهة هذه المعضلة تشكّل ضرباً من ضروب الحداثة التي تفرض ذاتها بشكل أو بآخر على

المؤسّسات الدينيّة والتربويّة والاعلاميّة المعاصرة. وإذا كانت الحداثة، برأي باحثيها كمالكوم برادبري وجيمس ماكفرلن وجوزف كونراد وسواهم، تعني التجاوز، تجاوز ما هو تقليديّ وما هو متّفق عليه، فإلى أيّ مدى تمكّنت الكنيسة وتتمكّن اليوم من مثل هذا التجاوز لذاتها أوّلاً ولسواها ثانياً؟ وإذا كان التجاوز فعلاً مستمرّاً يتحقّق وفق مبدأ التخطّي، بعد إسقاط السلفيّة والتبعيّة، سعياً لإحياء المبتكَر، والمغاير، وغير المألوف، وغير المتداول، فإلى أيّ مدى تمكّنت الكنيسة وتتمكّن اليوم من هذا الفعل المستمرّ ومن هذا التخطّي؟ إلى أيّ مدى يمكن للكنيسة اليوم أن تعمل لإحياء المبتكَر، والمغاير، وغير المألوف، وغير المتداول؟ وهي جميعاً من الحقائق التي لا تخرج عن جوهر الوجود، بل تتطابق معه في سرّ حضوره وصيرورته.

ألم يُشر هوفمانستال إلى هذا التطابق في تعريفه للحداثة بكونها "الرغبة في تهريب الإرادة الفرديّة وجعلها متوحّدة مع إيقاع الكون"؟ هل ساهمت الكنيسة في عمليّة التوحّد بين الارادة الفرديّة وإيقاع الكون؟ بكلام آخر، إنّ البحث في العلاقة بين الكنيسة والثقافة يطرح جملة من الأسئلة التي لا تستوجب بالضرورة جواباً حاسماً بقدر ما تفرض وعياً مستديماً يواكب تطوّر الكنيسة ونموّها في علاقاتها مع المجتمع.

من هذه الأسئلة:

- هل فهمُ الدين ملكٌ لكهّان الدين أم ملكٌ لجماعة المؤمنين؟ أي ملكٌ للبيعة برمّتها.
- إلى أيّ مدى تشارك البيعةُ كاهن الهيكل في إنتاج الفهم الدينيّ؟
- هل الترهّب للعقل موازٍ للترهّب للايمان لدى كُهّان الهيكل؟
- إذا استعنتُ بلغة إسلاميّة، أسأل هل أنتج الموارنة عبر تاريخهم الثقافيّ "معتزلة" ناقشت "أشاعرة" الطقوس والمعتقدات المارونيّة؟
- وإذا استعنتُ بلغة متصوّفة، أسأل هل أنتج الموارنة عبر تاريخهم الثقافيّ حلاّجَهم؟ هل لديهم ابن عربي، أو ابن الفارض يرتفع بالايمان الخلقيدونيّ إلى ذراه الروحانيّة الخالصة التي تلتقي في سِدرةِ منتهاها إلى تواصل الفلسفة باللاهوت وتداخل اللاهوت بالفلسفة بالايمان؟
- لو استعنتُ بلغة أغسطينوس والأكويني، لتساءلت إلى أيّة درجة قبلت الكنيسة ثقافة الشك توصّلاً إلى ثقافة الايمان؟ وإلى أيّة درجة تبني البيعةُ المارونيّة على المدرسة السكولاستيكيّة

التي أخَذَت بها المدرسةُ المارونيّة في روما، والتي يمكن التوسّع بها للإفادة من المدارس الفلسفيّة الحديثة خدمة للايمان؟

- لو قُيّضَ لي أن أملك لغة كيركغارد الوجوديّة المؤمنة لتساءلتُ معه ما هي الوسائل المعرفيّة التي أفاد منها الموارنة في سبيل التوصّل إلى ثقافة وجوديّة تثري الايمان، وثقافة مؤمنة ترتكز على مقترب وجوديّ معاصر؟

- لو حاولتُ الافادة من نسبيّة ألبرت أينشتاين الفيزيائيّة ونسبيّة بول ريكور في نظريّة التناصّ، أي المعنى النسبيّ للنصّ بعد مقابلته مع نصوص أخرى، لتساءلت إلى أيّ مدى استعدّت الكنيسة للقبول بنظريّة النسبيّة وتوظيفها في خدمة الايمان أو المعنى الدينيّ؟

- وأخيراً لو حاولتُ أن أقترب من لغة هايدغر ومقاربته لمفهوم الزمن، لتساءلت معه ما إذا كان المعنى الدينيّ، سواء أكان من نتاج كُهّان الهيكل أَم من نتاج البيعة، معنىً تاريخيّاً مرتبطاً بالزمان، أم معنىً قديماً قِدَم اللّه، خارجاً عن الزمان؟ وفي الحالين كيف أتعامل مع هذين المعنيين أنا المارونيّ في القرن الواحد والعشرين الذي أقلقته هذه الفلسفات، القديمة والحديثة، الإسلاميّة والمسيحيّة؟

مثل هذه الأسئلة تكوّن بنظري الفضاء الثقافيّ الذي تبحث عنه الكنيسة بشكل عام، والكنيسة المارونيّة بشكل خاصّ. ولأنّ التاريخ الثقافيّ لهذه الكنيسة يشهد لها، نريد لها أن تعي أهميّة الوسائل المعرفيّة الحديثة وأن تتعامل مع أدوات الوعي المعاصر كي يلتقي رهبان العقل برهبان الايمان في مجمع تاريخيّ يعتمد النقد الفلسفيّ سبيلاً إلى اللاهوت والنقند اللاهوتيّ سبيلاً إلى اللّه.

د. بولس سرّوع

الموارنة والثقافة

يسهل الحديث عن الثقافة إذا ما التبس فهمها مع التعلّم. وهذا الالتباس حاصل واقع يحجب الكثير من الحقائق ويمنع الغوص في المفاهيم الحقيقيّة، أو حتى تناولها، عند الكثير من الناس، عامّة وخاصّة. الثقافة، برأينا، كينونة دائمة الفعل، شاملة تتعاطى بالجزئيّات والكليّات وتحيك من كليهما إطار الحقيقة، فالجزء ضروريّ لرفع الابهام عن الكلّ، كما أنّ الكلّ ضروريّ لعدم ضياع الجزء.

لن أذكر هنا الدراسات الكثيرة التي تناولت موضوع الثقافة، كما لن أدخل في محدوديّة التعريفات والمداخل التي تفيض علينا من هنا وهناك من دون مساهمة تذكر في تحديد جوهر الثقافة، أو حتى الدخول في أبوابها. سأقصر كلمتي هنا على ما أعتقده صلب الموضوع في الثقافة وما يمكن انسحابه تالياً على الموارنة. تبريري في ذلك أنّ الثقافة كمنهاج لا طائفة لها ولا وطن. أمّا محتواها فهو الذي يحدّد خصائصها الوضعيّة.

بناءً عليه، سأتناول في كلمتي الأبواب الآتية من الثقافة:

١ – ثقافة الزمن

٢– ثقافة الأرض

٣– ثقافة الايمان

٤– ثقافة الانسان

ثقافة الزمن

الزمن هو معيار الحدث والمحدّد معه الكينونة أو الكائنيّة، بمعنى أنّ الحدث الفيزيائيّ يسير في الزمن بقدر ما الزمن يسير في الحدث. ولئن كان أينشتاين قد تناول الكائنيّة ببعدي العمل والزمن، فإنّه قد أظهر الاعتماد المتبادل بين الحدث والزمن كشرط للحدوث الكائنيّ. وأوّل

عناصر فهم الزمن هو نزع الجماديّة عنه ووضعه في التحرّكيّة. ونظراً لما للزمن من ديناميّة تحرّكيّة فإنّه يصعب، كما يلمح إلى ذلك الفرد نورث وايتهيد، إنهاء الزمن أو انتفاؤه وإن كان الحاصل هو تغليب آنية معنيّة في الزمن على آنيّة أخرى تبعاً للديناميّة التحرّكيّة التي تتمتع بها أو تختزنها هذه الآنيّة. الناتج عندنا إذاً هو استمرار في الزمن الحدثيّ مع تراكمات طبقيّة من الآنيّات التحرّكيّة. وللايضاح أقسم ثقافة الزمن إلى مداخل ثلاثة:

١- ثقافة الزمن الماضي

تكون هذه الثقافة ممكنة فقط في الوعي الحاضر. وأنا لا أعني هنا مدوّنات الماضي - وهذه يمكن أن تستوعب ذكر الأحداث تاريخاً - بقدر ما أعني ما نفّذ من الماضي إلى الحاضر بفعل استمرار ديناميّته، وأيضاً كما يقول وايتهيد، وأخذه الحاضر على أنّه جزء فاعل فيه. ميزة هذه الثقافة هي مستمدّة من ميزة الحدث الماضي النافذ إلى الحاضر. وهذا الحدث قد صهرته التجارب وأثبت كائنيّته عبر تحدّيات الأحداث والأزمان. ولا يكون هذا الثبات ممكناً إلاّ إذا كان هذا الحدث أشمل في كائنيّته من كلّ الأحداث التي قابلته. نطلق على هذا النوع من الحدث صفات كالجذور، الينابيع، الأصول، التراث، وغيرها من صفات المصدريّة والمرجعيّة والديموميّة. هذه الصفات لا تكون ممكنة في زمن الحدث الزمنّي، وإنّما هي كذلك في الوعي الحدثيّ الآنيّ.

تشكّل هذه الأحداث إذاً العمود الفقريّ في ثقافة البيئة أو الجماعة التي تولّدت منها، وتشكّل تالياً ما يُصطلح على تسميته بالخصائص المميّزة لجماعة معيّنة، والتي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالذاكرة الجماعيّة التاريخيّة.

٢- ثقافة الزمن الحاضر

هذه هي ثقافة الآنيّة في الحدث الزمنيّ. الفعل الزمنيّ يحدث أمام الانسان من دون أن يمهله لحظة للتفكير والتقرير التفاعليّ سلباً أم إيجاباً. الواقع أنّه لا يجوز أن نقع في وهم آنيّة الحدث للقول إنّ الأمور بنت ساعتها، إن ما يظهر أنّه حدث آنّي هو في الواقع تتويج لسلسلة من الحدثيّات المكوّنة التي تتوّج في الحدث الآنيّ. إنّ الزمن الحاضر هو زمن شهادتنا على الأحداث من دون أن يعني هذا آنيّتها المطلقة؛ هذا مناف للعقل ومنطق الحركة. إنّ مشكلة

الانسان في هذه الثقافة هو أنّه يعيش مئات الحدثيّات التكوّنيّة من دون أن يكون له فيها كبير دور أو عظيم استيعاب. لذلك ترى إنسان هذا الحاضر متعباً مرهقاً سهل الانقياد لمن يفكّر عنه". وهذه المأساة قد عاشتها وتعيشها كلّ الشعوب التي تملك ثقافة الزمن الحاضر. وقد أدّت هذه المأساة في أوروبا القرن التاسع عشر إلى انتشار آفتي الانتحار وتعاطي الأفيون. وغنيٌّ عن القول إنّ هاتين الآفتين تشكّلان برأينا رمزاً واحداً للارهاق العقليّ الناتج عن تواتر الحدثيّات التكوينيّة في ذلك الزمان من تداعيات الثورة الصناعيّة، إلى اكتشافات داروين حول أصل الانسان، إلى صعوبة فهم الله، وغير ذلك من تحدّيات.

إنّ صعوبة ثقافة الزمن الحاضر هي وليدة ارتباط هذا الزمن بسابقه من حيث أصل العقل التكوينيّ ويلاحقه تأسيساً. وصعوبة أخرى هي وليدة استحالة الوعي الكامل لأيّ حدث تكوّنيّ ساعة تكوّنه. إنّ الاعتراف بهذه الصعوبات يمكّن من التأسيس عليها لجهة تسهيل استيعاب الحدث التكوّنيّ الآنيّ. وبهذا أعني أنّ دراسة منهجيّة الحدث تؤسّس لفهمه وتالياً للتحكّم فيه إلى حدّ بعيد. أنا أقترح أن يصار إلى استحداث علم جديد هو علم الحدث Eventology أو Accidentology كي نمنهج من خلاله ثقافة الزمن الحاضر.

٣- ثقافة الزمن الآتي

إنّ الحدث بطبيعته حركيّ ديناميّ يتوجّه إلى المستقبل. الانسان أصلاً كذلك يتطلّع إلى الأمام، وهذا ما يميّز الانسان عن غيره من المخلوقات، إذ إنّه الوحيد بينها الذي يستطيع أن يرى نفسه في المستقبل. رؤية الزمن الآتي، كما تدلّ حوادث التاريخ، هي رؤية فرحة تفاؤليّة بمجملها. ولكنّ هذه الرؤية ليست بالضرورة محقّقة. وباختصار كلّي أقول إنّ ثقافة الزمن الآتي لا تقوم على التنبّؤات بقدر ما تقوم على وعي الانسان لحركة العمل التكوّنيّ. إنّ هذا الوعي يقوم أصلاً على معرفة منهجيّة الحدث. ومع أنّي لا أقول بالحتميّة المطلقة، إلاّ أنّي أجزم أنّ معرفة النسبة الأعلى من مكوّنات الحدث تمكّن من التحديد الواقعيّ للحدث في المستقبل.

إنّ من شروط ثقافة الزمن الآتي: أوّلاً أن يكون الانسان مالكاً إلى حدّ بعيد منهجيّة ومنطق الحدث في الزمان والمكان، وثانياً أن تشمل رؤيته المعرفيّة العدد الأكبر من الناس، وبقدر ما تكون الرؤية شموليّة إنسانيّة بقدر ما يكون حدث المستقبل واقعاً. واجه الانسان هذين الشرطين عبر تاريخه الطويل، وسيواجهمما ما حيي. ولئن اعترض معترض على أنّ وتيرة

الحياة ومتطلّبات الوعي في الزمن السابق كانت أقلّ بكثير ممّا عليه الآن، أقول إنّ الأمر هو في الحقيقة واحد. فأحداث الأمس التي تبدو لنا بطيئة الآن كانت فائقة السرعة بالنسبة لانسان الأمس. ونحن إذا ما قبلنا هذه الحقيقة نكون قد قطعنا شوطاً بعيداً إلى الزمن الآتي من حيث السيطرة على عاملي الوهم والجهل.

ثقافة الأرض

الأرض كائن حيّ، عنصر قائم بذاته تجتمع فيه العناصر ويتمثّل هو فيها بأكثر من شكل ويترك فيها أكثر من أثر. ودون حاجة إلى الدخول في ما ذهب إليه ابن خلدون وأكّده من بعده علماء الأنام Anthropology، والبيئة، والهيئة Morphology، وغيرهم، أقول إنّه ينشأ بين الانسان والأرض رابط عضويّ أوّلاً، ما يلبث أن يتطوّر عبر الزمن وديمومة العلاقة إلى رابط شعوريّ عقليّ وجوديّ. هذه الروابط ليست روابط إنشائيّة/ رومنسيّة بقدر ما هي حقائق واقعة تفرضها خصائص الأشياء. ففاكهة أرض ما وخضارها ولحومها وهواؤها ومناظرها تفرض نفسها تدريجاً على أجيال المقيمين بحيث تصبح جزءاً من الحدث التكوّنيّ في الانسان. من تولّد هذه الحقيقة تنتج الألفة، وعندها تتحوّل الأرض إلى بلد ومن ثمّ إلى وطن. وزيادة في الايضاح أقول: إنّ الانسان في محاولته استغلال الأرض كي يعتاش منها يزرع فيها من ذاته بقدر ما تزرع هي فيه من خصائصها.

إنّ تحدّيات هذه الثقافة كثيرة ومتنوّعة، وليس أقلّها القول إنّ الخصائص التي تكلّمنا عليها آنفاً سائرة إلى زوال، أو هي على الأقلّ ليست ظاهرة بالشكل المحدّد أعلاه. وقد يذهب البعض إلى القول إنّ العالم اليوم يأكل ويشرب ويلبس من كلّ العالم، وغداً ستختفي الحدود بتأثير الاتصالات والاتفاقات الدوليّة التجاريّة والعولمة. مع أخذ هذه التحفّظات بالاعتبار، أقول إنّ الناس لن تمخر المجرّات غداً، كلّ فرد في مركبة كما تصوّرها أفلام القصص العلميّ. ستبقى البشريّة وإلى زمن طويل تخضع للمعايير الآنفة الذكر في الأعمّ الغالب من تكوّنها. إنّ حقيقة ما أذهب إليه هو أنّ الأرض مرجع أساس للشخصيّة الانسانيّة، وجب الحفاظ عليها وتطويرها عبر تطوير الوعي لدور هذه المرجعيّة. والتطوير ممكن، لا بل ضروريّ، عبر: أوّلاً: فهم الانسان للخصائص المميّزة له نتيجة ارتباطه بأرض معيّنة، وثانياً فهم الدور الإغنائيّ الذي يمكن أن توفّره ثقافة أرض الآخرين. إنّ هذين الفهمين هما عامل تكامل وإغناء لبشريّة جمعاء. فمعهما لا تنتفي الخاصّة الأوّليّة من جهة، ولا يقوم نزاع بين الأرض الأصل والأرض الفرع من جهة أخرى.

إنّ فهماً كهذا لكفيل بإزالة الكثير من مشكلات الوطن في شقّيه المقيم والمغترب.

ثقافة الايمان

الإيمان هو فعل قبول وكينونة وتصرّف، من أنواعه البسيط والمتحوّل والمركّب والثابت، ومن أبوابه الروح والعقل. ولا يمكن أن يقوم الإنسان بأيّ عمل ما لم يؤسّس لهذا العمل في القبول به. ونحن وإن كنّا لا ننكر حريّة البعض في اختيار ايمانهم، فإنّنا نشدّد على أنّ الإيمان الحقّ لا يكون عرضياً أو مرحلياً إذ يفترض في ما يؤمن به الإنسان أن يكون متواتر الحصول، ثابت المرجعيّة، واضح المعالم. وعليه، فإنّ مثل هذا الإيمان يطبع الشخص بطابعه وبه يعرف. وبما أنّي لا أتناول الباب الماديّ هنا، فإنّ الإيمان عندي هو ثقافة روحيّة واجبة. والثقافة هذه هي وليدة التجربة والزمن والتطلّع والنجاح والإخفاق، حتّى إذا ما صنّفت نفسي مؤمناً كانت لي الحصانة ضدّ الباطل والمتحوّل.

من هنا، فإنّ ثقافة الإيمان واجبة لازمة كي لا يصبح الانسان ورقة في مهبّ الريح، تتنازعه المذاهب والأهواء، وهو لا يؤثّر فيها.

ثقافة الانسان

هذه الثقافة هي أصعب الثقافات وأيسرها في آن. إنّ صعوبتها تكمن في التركيبة المعقّدة للانسان من حيث هو مجموعة أهواء ونوازع وتواريخ ومحطّات وأعراق وأجناس وما إلى ذلك من وسائل التعقيد. الواقع أنّه في هذا التعقيد يكمن جزء من عظمة هذا الانسان. فالمخلوقات المركّبة عموماً هي الأكثر استعداداً للتطوّر والتأقلم والتفاعل.

أمّا سهولة الانسان فتكمن في اشتراك جميع أفراد الجنس الواحد بالخصائص الأساسيّة إيّاها. فمن دراسة الذات دراسة واقعيّة موضوعيّة، يمكن النفاذ إلى الذات الأخرى.

إنّ بيت القصيد في ثقافة الإنسان هو في تحديد الاتجاه الحتميّ للإنسانيّة جمعاء، والدفع في هذا الإتجاه. يقتضي هذا الأمر انتقاء عوامل الفرديّة والأثرة والسيطرة والمفاضلة وغير ذلك من عمليّات الفرقة والتباعد. في ثقافة الانسان يدرك الفرد أنّه واحد وكلّ في آن.

إنّ هذه الأبواب الأربعة من الثقافة كلّ لا يتجزّأ، وذلك لما بينها من تكامل وتداخل وتماه؛

فالإنسان فاعل في الزمن متفاعل مع الأرض، توّاق إلى الايمان كي يكون ويقدر ويفعل، يوجّه طاقته في خدمة ذاته مباشرة أو بالواسطة عبر أبناء جنسه.

ماذا للموارنة من كلّ هذا؟

أعتقد أنّ الصورة قد أصبحت واضحة، ويبقى أن نركّز بعض ألوانها. لقد اختزنت المارونيّة عبر نيِّف وستة عشر قرناً كنزاً من التراث، حقلُه الزمن، وأفرد جواهره وأبان محاسنه وأثبت ديمومته. هذا الكنز ينير وَيَخفت نورُه، قياساً على الوعي المارونيّ للزمن. فإذا لم يعش المارونيّ في حاضره ما تسلّمه من ماضيه، وإذا لم ينطلق إلى مستقبله معتمداً على ثقة بما يريد في هذا المستقبل، فإنّ الضياع والتشرذم هما واقع الأمر.

والأرض في الوعي المارونيّ لها قيمة الوجدان، ليس فقط لارتباطها وتأثيرها العضويّ، وإنّما أيضاً لما أصبحت ترمز إليه من كيان وخصائص الرمز للمارونيّ هو أرض لبنان يرى فيها أحلام الحريّة والكرامة والسيادة والسعادة. وإذا ما اهتزّت صورة الأرض وأفسحت في المجال أمام أراضٍ أخرى، فإنّ جزءاً مهمّاً من الخلفيّة الرمزيّة للموارنة تكون إلى زوال.

أبناء مارون يمتازون عن غيرهم دون "تكبّر وعجرفة"، أنّهم على سيرة الراهب القدّيس الذي حافظ على نمط الايمان الأساس، الايمان المشرقيّ، إيمان ما قبل الهرطقات، فأتى الآباء من بعده يبلورون رؤياه ويرسمون الدرب للآتين بعدهم. عبر ثقافة الايمان المارونيّ نكون موارنة؛ أمّا إذا كنّا إنتقائيّين في الايمان، لا نصبح على عقيدة أمسينا عليها، فلا نلومَنّ أحداً إذا تناثرنا هباءً.

ولا يكون المارونيّ مارونيّاً إلاّ إذا اكتملت ثقافته بثقافة الانسان. المارونيّ لا يعمل فقط لأجله، بل لأجل كلّ من حوله. المارونيّ الحقّ ليس عنصريّاً ولا طبقيّاً ولا استغلاليّاً ولا فرديّاً ولا انعزاليّاً؛ إنّه، وفي مراحل خبرته التاريخيّة قد عمل لخير المجموع. لقد أخطأ الموارنة كثيراً عندما تاهوا عن أصالتهم المارونيّة، فتصرّفوا في مواقع معيّنة بحسب ما أراد لهم الغير ولم يرد لهم الخير. لقد حيكت حولهم، ولا سيّما في الحقبات الأخيرة، الأساطير حول صراعاتهم وأحقادهم وطموحاتهم وفرديّتهم. للأسف، لقد صدّق الكثيرون هذه الأساطير وتصرّفوا بموجبها. أمّا الموارنة الموارنة الذين كتبوا بدم الشهادة والقداسة فعل إيمانهم باللّه وبالأرض والانسان، فهم ملح الأرض. فحذار أن يفسد الملح!.

Youssef R. Yacoub, Ph.D

What Does Hardini Teach Us?
The Need for Spiritual Education

The tidal wave of empirical science, which, through the Renaissance, flooded the Western World, has not been able to wipe out the desire for the spiritual. The emphasis on knowledge has not been able to offer the human being the "joy" he/she is everlastingly seeking. It is a joy attained through adopting the intellectual virtues as well as the theological virtues. The purpose of this paper is to show that spirituality is the backbone of education. If education is for life as Aristotle says, then we are born to exercise our freedom, which cannot be attained only by knowledge, but by also building the moral character. Here in Lebanon, though we are not that rich in scientific investigations, yet, we are rich in the many spiritual people to which this culture has given birth. Hardini the teacher and Charbel the student are taken as examples of what a spiritual education must be. In this paper I promise no absolute clarity. What I desire to achieve is to raise the awareness of the fact that, like the Western World, we too have excellent spiritual sources for healing the ailments of our times and particularly the ailments of education.

In 1793 William Godwin wrote in his book *Enquiry Concerning Political Justice,* "Knowledge, and the enlargement of intellect, are poor, when unmixed with sentiments of benevolence and sympathy." (Godwin, 300) To understand this quotation one must get acquainted with the time that gave it birth. It was the time when the human being of the academe revered empirical science and put an overwhelming faith in its inductive method. This led to a "presumptuous" attitude, which, to a large extent, eclipsed the power of faith as well as the application of the virtues. Knowledge became cold and lacked the warmth of benevolence. On this account, Godwin targeted his attack against the poverty of knowledge during his time. Additionally, inductive logic allied itself with the so "presumptuous" attitude that "unlimited powers" to know have been granted to empirical scientists. Consequently, our inner life, which is the royal ground for the dwelling of the virtues, was taken to be as "parasitic upon the outer." Since then, exteriority has been given precedence over interiority. In the same vein, principles of ethics, or the *isms* of ethics, also took precedence over the organization of the inner human space.

However, this precedence of the outer over the inner could not suppress the power of the desire of the inner to express its demands: real knowledge must contain "warmth and benevolence." One cannot avoid stating the words of one of the greatest mystics of the Western World, Meister Eckhart: "He found justice from within. My body is more in my soul than my soul is in my body. My body and my

soul are more in God than they are in themselves, and justice is this: the origin of all things in truth." (Sermon, 15) Briefly said, the ground of being for Eckhart is God. Understanding this, we come to realize that transformation from within must be the purpose of education. From within we settle in the peace of our origin, and in this origin the inner and the outer are united. So, from the light of knowing-about sprung the light of the soul-knowing-herself and her origin. After almost two hundred years the irresistible urge for the spiritual has stubbornly persisted.

In 1981 Notre Dame University Press, USA, published Alasdair MacIntyre's book *After Virtue,* which generated sharp criticism and heated debates in the philosophical circles in the USA. In this book MacIntyre aims his philosophical attack on the isms of ethics which modernity has laid upon us; isms which eclipsed the interiority of the human being in favour of an exteriority whose telos is bent toward following ethical rules and seeking material productivity. In this sense, the title *After Virtue* is understood in the light of what ethically happened to the human being after veiling the practice of virtue. He ends his book with the following memorable quotation:

What matters at this stage is the construction of local forms of community within which civility and the intellectual and moral life can be sustained through the new dark ages which are already upon us... This time however the barbarians are not waiting beyond the frontiers; they have already been governing us for quite sometime. And it is our lack of consciousness of this that constitutes part of our predicament. We are waiting not for a Godot, but for another - doubtless very different - St. Benedict. (MacIntyre, 245)

The Western ethical situation that makes MacIntyre wait for another St. Benedict is paralleled by an identical situation over here in Lebanon. But the question is whether we are really waiting for another Hardini or Charbel. In line with my question Rev. Boulos Sfeir in his book *Rouhanyat Al Kiddiss Charbel,* with less severe tone than MacIntyre, but, with an identical seriousness, asks these two crucial questions: "Is it possible for us nowadays to find spiritual fathers who are learned in the matters of spiritual guidance? And if there were such fathers, would our Christian youth and our orders be willing to follow their guidance just as Saint Charbel followed the guidance of the beatified Father Na'ametallah Al Hardini? This is the difference between saints and us." (Sfeir, 1995, 166, trans., Valery Aoun)

The fact that Hardini and Charbel are saints, and we are not, should not create a dilemma. Our passion and our desire to be good are grounds to keep us hopeful. As we should consider original sin, we also should consider our original innocence. The attainment of the good is accomplished when we try to transform our selves as well as to transform our students. As Hardini taught and exemplified the virtues to Charbel, so, within our means and by the grace of God, we can teach our students the virtues. Aren't we all potentially saints? The force behind building the virtues stems from our passion and our desire to organize our inner space. When this interiority is fueled by love, we naturally move toward the other, and the other, to use Aristotle's expression, becomes our "extended self." In other words, our

interiority is transformed into exteriority. We become inclusive not exclusive. Withness is essential. Within this context, Hardini says, "Those who strive in common monastic life are the ones to be praised for their endurance, patience and self-discipline and for bearing the weakness of the weak. Spiritual fathers consider common monastic life a life of continuous martyrdom; one always has to be careful so as not arouse doubt in others!" 2 (Sfeir, 1998, 106, trans., V. Aoun.) From this quotation we understand the virtue of obedience. Love is the kernel of obedience; and obedience is the act by which our interiority is transformed into exteriority and *vice versa*. It is within this context that we can interiorize what Shakespeare says,

> God's benison go with you, and with those
>
> That would make good of bad, and friends of foes.
>
> (Macbeth , Act II, Sc. IV)

This means that in a community we learn how to reconcile and how to forgive. These are the virtues which constitute obedience. In obedience we live heaven and in this heaven the individual ego, using the psychoanalytic term, becomes the "all-ego," the state the infant experiences in the mother's womb. Through the virtues the external world is experienced as the womb of the mother, *i.e.*, a psychological heaven. Blending this psychological heaven with faith in God will be spiritualized and frees us from the veils of psychology where in this freedom we grasp and behold the glory of God.

However, Hardini's obedience does not include obedience to all that he inherited from his conventions. Conventions bequeath to us many residues, which fuel the worldly ego with its selfish desires. Oftentimes, they bind us to trivialities conducive neither to spiritual health nor to psychological health. Michel de Montaigne in his essay *On Presumption* tells us, "We are all convention; convention carries us away, and we neglect the substance of things. We hold on to the branches, and let go of the trunk and the body. We have taught ladies to blush at the mere mention of things they are not in the least afraid to do. We dare not call our parts by their right names, but are not afraid to use them for every debauchery. Convention forbids us to express in words things that are lawful and natural; and we obey it. Reason forbids us to do what is unlawful or wicked, and no one obeys it." (Montaigne, bk.II) Hardini carried himself away from the trivialities of convention and held on to the substance of all things, i.e., the "trunk and the body" of all things rather than the "branches". This is exactly what in the mystical traditions is called detachment. In the first chapter of her autobiography Teresa of Avila, despite her love for her father and mother, blamed them for teaching her to give importance to honor and its likes. In the mystical traditions the "wants" are rejected. The I must not exist except through the "third party" who is God. It is through God that the psyche inhales the spirit of love and mercy. The mystic does not stop at that; he listens to his reason, which responds to his/her spiritual "needs" rather than listening to his/her "wants". Needs, not wants, are what constitute contentment, which is one of the essentials of the spiritual as well as the

psycholgical life. In this sense, the needs are the speech of the person's potential. In *Agamemnon,* Aeschylus emphasizes this point, "Let there be less suffering ..../ give us the sense to live on what we need." (p.117) Inversely, the egoistic wants are the death of speech, and, therefore, communication is abhorred.

Within this context, we understand Hardini's obedience to the reality of withness, which cannot be spiritually united except through God. This spiritual withness becomes the cause for his deep understanding of the life of a monk. He says, "The hermit, my dear brother, is alone with no one from outside to tempt him. He spends his time praying and perfecting his work in the vineyard.... Despite that, I tell you, dear brother, that each has his calling and that not all people are alike; some have their seclusion and others their common monastic life." (Sfeir, 1998, 106, trans., V. Aoun) 3 In this quotation two words are worth considering: *alone* and *prayer*. Aloneness with a "third party" i.e., God, is imperative in understanding the mystical communication. Superbly, Plotinus expresses it, "Let him who is able to do so advance and heed the inner beauty of this sanctuary, penetrating it intimately: let him close his eyes to the spectacle of terrestrial things, without throwing a backward glance on the bodies whose graces formerly charmed us. If he still sees corporeal beauties, he must no longer rush at them, but, knowing that they are only images, traces, and adumbration of a superior principle, he will flee from them, to approach that Beauty of whom they are merely the reflections." (Kristeva, 106) Both Hardini and Charbel were alone with "Him who is alone". Through Him, and only through His potent grace Hardini the teacher imprinted on Charbel the student the virtues of holiness. Both carried themselves away from the conventional family, the conventional friendship, and the conventional teaching. As we are all witnessing, Charbel and Hardini have linked us with themselves and with each other and transformed us into an unconventional family, an unconventional friendship, and by an unconventional teaching method - the virtues. Aloneness in this sense cannot be understood without understanding prayer. In prayer we experience our passion and our desire to step into God's territory. Prayer is the desire of the passion of the psyche, the soul and the rational mind. Prayer expresses withness.

However, there are passions without desires. Those passions are blind and without direction. They lack self-control, i.e., they lack what constitutes obedience. The saints control themselves against the vanities of the worldly ego. The Rev. Na'amatallah Al Kafri says about the Al-Hardini, "He despised dignity and ran from those who praised him, and for the same reason he used to ask that he be relieved from monastic duties...And when he was approached on the issue of becoming the next Father General of the Order and on his election to office, he sometimes used to say: 'May I die first'." (Sfeir, 1995, 160 trans., V. Aoun) 4 Additionally, though he was a good theologian he never left written manuscripts. The Rev. Boulos Sfeir comments on this, "He was like his Divine Mentor, Jesus Christ, he lived and taught and wrote not on pages of paper but on the pages of the hearts." (Sfeir,1998, 96, trans., V. Aoun) 5

Also, like his divine Master Jesus Hardini consecrated the Sabbath to the service of

the human being and not the opposite. The law must be soaked with mercy. In his response to Bishop Youssef Ja'aja'a who supported the implementation of strict rules on the priests and the novices, Hardini objected with the following words, "Your Excellence, we should not be strict about what is allowed. We have to alleviate the burden placed on the shoulders of the monk and upon his conscience and not to burden him even more. For excessive pressure will build up to an explosion, and if we tighten the bow too much it will break and loosen.". (Ibid, 110, trans., V. Aoun) 6 What Hardini says is the reflection of the wisdom of commonsense. His objection is directed against the majesty of the law, which could create another majesty in those who protect the law. Moses imposed the laws because of the cruelty in the hearts of his contemporaries, as Jesus teaches us. Tanous al-Chidiak, who was an alter boy at Hardini's Mass, tells us this, "I knew him because I served with him everyday... I remember that he never attended Mass early, but attended it rather later than the rest of the monks. I was annoyed at first because I used to get hungry and was unable to attend his Mass while I was fasting. He sensed my annoyance and gave clear orders to the father econom to prepare breakfast for the novice everyday." (Sfeir, 1998, 171, trans., V. Aoun) 7 This shows his prudent sensitivity. This prudent sensitivity is reflected in his teaching method: "He watches over them with the kindness of fathers and the tenderness of mothers." (Sfeir, 1998, 159, trans., V. Aoun) 8 He was a model and a spiritual father. A principle that does not have flesh and blood was not appreciated by Hardini. Therefore, charity, hope and faith are the instrument of the withness, which exists only for the glory of God. Na'amtallah AL-Kafri says, " He loved his brothers according to the law, whom he loved all equally without bias... But, he used to lean towards the virtuous, the pious, the fervent worshipers, especially the simple ones, not with private love that had any significance, but with a love that had as a theme the salvation of the neighbor for the sake of God." (Sfeir, 1995, 159, trans., V. Aoun) 9 He continues , "As much as he was strict with himself, he was compassionate with his neighbor....He endeavored to be a good example...and he used to seize the opportunities to teach the simple and the children the rules of religion." (Ibid, trans., V. Aoun) 10

Moral character, which is the goal of education, is taught by example. In order to be exemplary, the teacher must have a well-formed character. Although Michel de Montaigne never found mysticism understandable, yet, when reading his essays one cannot overlook how near he comes to expressing a religious inclination. With such inclination, it naturally follows that a teacher like Hardini is the teacher Montaigne suggests. In his essay *On the Education of Children* he tells us, "I would wish great care to be taken in the selection of a guide with well-formed rather than well-filled intellect. One should look for a man who has both, but should put good morals and understanding before book-learning, and should require him to fulfill his function in a new way." (Bk. I, Chpt.26)

From all that I have covered in this presentation I come to recognize three indispensable outlooks: the glory of God, the virtues and community. Now, how do we experience these virtues in an educational setting?

Our contemporary technology, whose attractiveness will never be worn off, offers us an ocean of information. Despite this enormous contribution, technology such as that of the computers has, to some extent, replaced our memory. An increased dependence on such kind of technology will result in plunging the human being into the abyss of losing our inner capability to unite the past with the present. Octavio Paz, the Latin American poet, sees memory as the instrument which "... changes and re-creates the past as it revives it. In that way, it transforms the past into the present, into presence." (Plimpton, P.101) Should we consider virtue as that which organizes our inner space, and should we consider the view of G. B. Levitas that St. Augustine's notion of memory is akin to the notion of the unconscious in psychoanalysis, then losing the efficiency of our memory means losing an essential part of ourselves. Psychoanalysis teaches us that the unconscious preserves what was lost and brings it back whenever it is necessary. Accordingly, making an alliance between virtue and memory, one has no option but to see the spiritual nature of this alliance. This is because organizing our inner space needs charity, *i.e.*, correcting our errors, i.e., truthfulness. Charbel truthfully learned from Hardini how to evaluate and correct himself. In the same vein, teachers in thought and action must teach their students the virtue of truthfulness Teaching about the lives of Hardini and Charbel will imprint on the students' unconscious mind this virtue, which naturally transforms itself into their super-ego, *i.e.*, conscience. The unconscious mind is this inner "gazing" power, as Jaques Lacan would have it. Following this route, Hardini and Charbel become a presence. Accordingly, education is character-building as Plato, Kant, and Iris Murdoch teach us.

Moral education has been much of the time linked to religious education. However, as Kirkegaard also teaches us, in religion there is something supernatural which ethics points to: the glory of God, which is reflected when the person in faith desires the destruction of his/her selfish ego and exercises the passive-receptivity of his/her soul as we see it in the life of Charbel and Hardini. Having this potential at hand we realize that, no matter what shortcomings we have, our existence is directed to God. Dostoyevsky in his *The Brothers Karamazoff* teaches us that atheism is an impossibility. The glory of God must be the focus of the teaching process. So, transforming the bad dispositions should be the "must" of education. Transformation is the kernel element of "looking," i.e., looking at God. Our belief in God puts our intentions and our actions in order and gives us clearer perspectives.

God completes our actions and our dispositions. Psychoanalytically speaking, the human being is in a state of "manques-à-être." This means that lack is the precondition of what is to become. In other words, the human psychological state has a readiness for completeness. In this sense, psychology follows in the footsteps of spirituality . On this account, teachers must consider that in essence there are no bad students; it is our duty to transform them. This transformation itself shows the glory of God. This reminds me of the old movie *Boys' Town* which was based on a true story. The Catholic Father MaCraney, acted by Spenser Tracy, transformed the

homeless rotten-to-the-core boys into good citizens. Now we come to the second point: the virtues.

Briefly said, both the cardinal virtues and the theological virtues are our inner truthful witnesses. If we bear in mind that our deep inner dispositions are bent toward the Good, then the virtues are the tools by which we educate these dispositions. Though it may sound idealistic, yet psychology and philosophy provide us with educational ways. For example, the School of Phenomenology teaches us how to educate the students to evaluate themselves. Psychoanalysis teaches us about desire and identification; the desire to complete ourselves and find the object of identification. St. Charbel desired the ideal and through the ideal he found himself in the flesh and blood of Jesus Christ exemplified by the virtuous acts of his teacher Na'amtallah Al Hardini. In the ideal, he loved everybody and in the ideal he communicates with whom they identify.

Reading the two books of Rev. Boulos Sfeir, we learn how Hardini used to evaluate himself and how St. Charbel identified with his virtues. Of course, both are different from us. They are saints. But this cannot disguise the fact that they are part of our conscience and an essential element in our desires and our passions. But the questions remain: why do we have to evaluate ourselves? and why do we have to find the object of our identification? The answer to these two questions is that we are community people.

A community life is the essence of monastic life. Likewise, it must be in the life of a university. I remind the reader of MacIntyre's statement.quoted above, "... the construction of local forms of community within which civility and the intellectual and moral life can be sustained." It does not have to be the whole university; it could be only in a department or among faculty members with students in the classroom. When the work stress overwhelms us, friendship, not competition, must step in. Friendship, this "extended self", alleviates this stress. John Steinbeck, puts friendship on a pedestal higher than love. Friendship, borrowing Freud's term, brings "calm- preparedness." Prudent friendship with the students brings out what the two great poets say, Goethe in his immortal *Faust,*

> New strength and heart to meet the world incite me,
>
> The woe of earth, the bliss of earth, invite me.
>
> (Goethe, Faust, I)

And Milton in *Paradise Lost* says,

> What reinforcement we may gain from hope
>
> If not, what resolution from despair.
>
> (Bk., I, 190-191)

A "calm-preparedness" is a virtue possessed by Hardini the teacher and revealed in Charbel the student. We prepare ourselves and our students to transform each other that the glory of God may shine through us as it was in the case with the blind man in the Gospel of John who was blind not because of his sins or because of his parents' sins, but for the purpose that the glory of God may shine through him.

Our students need a community whose virtues can transform them. Transformation is akin to transfiguration. If so, then why should we punish the students when we are capable of transforming them? This is what puts the verses of Pushkin from his poem *The Covetous Knight* in place,

> I know my power
>
> And to me, this knowledge is enough.

So, let us allow the revolt of the passions in our students. It is through this revolt that they become in conflict with the laws of the institution and with their teachers. Yet, without losing themselves down to the "threshold" of conflict they cannot bear witness to this struggle to attain the good. Struggling to attain the good becomes an impossibility if it does not include their passions; for by including their passions in their struggle these passions are tamed, and by absorbing them into their struggle they are transformed. Transformation, in this sense, becomes a separation and a renewal. It is spirituality herself; and whatever is holy has its roots in the spiritual. Having the spiritual as our goal, I assure the reader that our inner " time is not out of joint." Through the prophet Hosea God says, I will lead the noble soul into the wilderness and there I will speak into her heart. (Hosea 2:14)

Bibliography

Aeschylus, *The Oresteia,* trans. Robert Fagles, Penguin Books, New York, 1979.

Dosteyvsky, Fyodor, *The Brothers Karamazoff,* trans. Andrew R. MacAndrew, Penguin Books, New York, 1989.

The Adolescent, trans. Andrew R. MacAndrew, Signet Classic, New York, 1990.

Godwin, William, *Enquiry Concerning Political Justice,* Penguin Books, New York, 1995.

Goethe, *Faust,* trans. Trans. Philip Wayne, Penguin Books, New York, 1975.

Eckhart Meister, *Selected Writings,* trans. Oliver Davies, Penguin Books, New York, 1994.

Kristeva, Julia, *Tales of Love,* trans. Leon Roudiez, Columbia University Press, New York, 1987.

Levitas, G.B., ed. *The World of Psychoanalysis,* Ambassador Books, Ltd., Torranto, 1965.

Milton, John, *Paradise Lost,* from *The Norton Anthology,* Sixth Edition, 1993.

MacIntyre, Alasdair, *After Virtue,* University of Notre Dame Press, 1981.

Montaigne Michel de, *Essays,* trans. J.M. Cohen, Penguin Books, 1958.

Plimpton, George, Editor, *Latin American Writers at Work,* The Paris Review, A Modern Library, N.Y., 2003.

Shakespeare, William, *The Portable Shakespeare,* Penguin Books, 1977.

The Bible, Oxford University Press, 1997.

١ – فهلاّ نجد اليوم آباءً روحانيين يحسنون الإرشاد الروحيّ؟ وإذا وجدوا , فهلاّ تنقاد شبيبتنا المسيحية والرهبانية لارشادهم بسهولة، كما انقاد القدّيس شربل للأب المكرم نعمة الله الحر ديني؟ هذا هو الفرق بيننا و بين القدّيسين.

٢ – إنّ الذين يجاهدون في العيشة الديريّة المشتركة، لهم أكبر فضل؛ فهناك الاحتمال، والصبر، وكسر الإرادة، واحتمال ضعف الضعفاء، وان العيشة الديرية المشتركة تعد، عند آباء الروح، مثل استشهاد دائم، إذا لا يسوغ للراهب أن يعمل ما يلائم ذوقه وطبعه وأخلاقه، بل عليه أن يسهر دائماً وينتبه لئلاّ يشكّك الغير.

٣ – وأما الحبيس، يا أخي، فهو وحده، ولا مجرّب له من الخارج، يقضي أوقاته بصلاته، وبإتقان العمل في هذا الكرم... ومع ذلك، أقول لك، يا أخي، لكلّ دعوته، وليس كلّ الناس سواء. فهذا للخلوة، وذاك للعيشة الديريّة المشتركة: فهذه دعوتي، وقد اعتنقتها منذ زمن طويل.

٤ – كان يمقت الكرامة. ويفرّ ممن يمدحهم. وللسبب عينه كان يلتمس إعفاءه من الوظائف الرهبانيّة... ولم يكن يقبل البعض منها إلا بإلزام الطاعة... ولمّا كان أحد يخاطبه بشأن الرئاسة العامّة وأنّه سينتخب لها , كان أحياناً يقول: "إنّي أسأل الله ألاّ أموت وأنا في وظيفة، فليكن موتي أسبق".

٥ – إنّه كمعلّمه الإلهيّ السيّد المسيح، عاش وعلّم، ولم يكتب على صفحات الورق، بل على القلوب.

٦ – يا صاحب السيادة، لا يجوز أن نكون صارمين في ما هو مباح. علينا أن نخفّف العبء

الموضوع على كاهل الراهب، وعلى ضميره، لا أن نثقله بزيادة .فالضغط الشديد يولّد انفجاراً، وإذا شددنا القوس أكثر من اللازم، فإنّه لا يلبث أن يتقطّع ويرتخي.

٧- عرفته لأني كنت أخدم له القداس كل يوم... وأذكر أنه لم يكن يتلو القدّاس باكراً، بل كان يتأخّر عن كلّ الرهبان، وأنا تذمّرت أوّلاً، لأنّي كنت أجوع ولا أتمكّن من انتظار قدّاسه صائماً. فعرف هو بذلك، فذهب إلى الكلارجي وقال له: "أرجوك أن تعطي كلّ يوم ترويقة، لهذا التلميذ باكراً".

٨- يسهر على تربيتهم بعطف الآباء، وحنان الأمّهات.

٩- وأمّا محبّته لاخوته الرهبان، فقد كانت طبق القانون، أي إنّهُ كان يحبُّهم جميعهم بالسواء، من غير تميّز... غير أنّه كان ينعطف لمحبته على أصحاب الفضيلة والتقوى والعبادة الحارة، ولا سيّما البسيطين منهم، لا بمحبّة خصوصيّة ذات داله، بل بمحبّة موضوعها خلاص القريب لأجل الله.

١٠- وعلى قدر ما كان صارماً على ذاته، كان شفوقاً على القريب.... كان يجهد أن يكون مثالاً صالحاً،..... وكان ينتهز الفرص ليلقّن للسذّاج والأولاد قواعد الديانة.....

الكنيسة المارونيّة والأرض

د. ضومط سلامه

الكنيسة المارونيّة والأرض

"طوبى للودعاء فإنّهم يرثون الأرض"

للأرض أهميّة بالغة، ليس فقط بفضل كونها خليقة اللّه، فهذا حال الكون بأجمعه، بل وخاصّة لأنّ المسيح الإله زارها فتنازل ولبس طبيعتها الماديّة ومن ثمّ ارتفع ورفعها وأعاد فتح باب السماء لبنيها، بني الانسان.

وبما أنّ شأن الأرض يعني البشريّة ككلّ، فهو بالتالي يعني منهم أبناء الكنيسة عامّة. لذا نرى أنفسنا ملزمين أن نمرّ بشأن الأرض عند المسيحيين ككلّ، قبل أن نركّز على شأن الأرض عند الكنيسة المارونيّة.

١- مفهوم الأرض في التراث اليهوديّ المسيحيّ: (Judeo-Chrétien)

نحن ننطلق من نقطة وجوديّة وزمنيّة في بدء صحوتنا. نعي أنفسنا أوّلاً بصفتنا مخلوقات بشريّة في زمنٍ ومكان. وفي هذين الوسعين، الزمن والمكان، نجد أنفسنا ونتابع البحث فيها وفي تكوينها. وخلال مرحلة البحث والتكوين هذه، أي خلال مرحلة البحث عن الذات والتعرّف إليها، نكتشف بأنّ الزمن والمكان لا يكفيان، وأنه بدون المطلق - اللّه - لا معنى لأيّ زمن ومكان، وبالتالي بدونه لا معنى للحياة الانسانيّة.

في صحوة الوجود الأولى بعد الخلق، أوّل ما رفضه الانسان من ربّه كانت الفرديّة والثنائيّة. فانصاع اللّه لرغبة الانسان وكانت حوّاء. فنميا وتكاثرا ببركة اللّه. هنا نرى بوضوح أنّ الانسان بطبعه ابن كنيسة، ابن جماعة، فهو كائن اجتماعيّ؛ هكذا خلقه باريه. والجماعة الحقيقيّة هي الجماعة التي أسّسها اللّه الآب وافتداها اللّه الإبن وأحياها اللّه الروح القدس، ثمّ كلّف اللّهُ الانسانَ باستلام زمامها منذ الخلق وحتى الفداء والقيامة. كانت الأرض مسرح المسيرة ولا تزال. فقد شاء اللّه أن تبدأ حياة البشر على الأرض، وأن يتمرّس الانسان في الحياة الزمنيّة على الأرض استعداداً للحياة الأبديّة في نوعيةٍ وجوديّةٍ لا تعرف الزمان ولا المكان.

منذ بداية الدعوة الخلاصيّة مع ابراهيم كانت الأرض محوراً أساسيّاً في مشروع اللّه الخلاصيّ، فكانت الدعوة الربّانيّة أن "اترك أرضك وشعبك وأهل بيتك واذهب إلى الأرض التي أريك". (تكوين ٢-١ : ١٢)

تَجدُر الملاحظة أوّلاً بأنّ التخلّي والوعد كانا من أرض إلى أرض، من مكان إلى مكان، من أرض التراث إلى أرض الغربة التي شاء اللّه أن تكون أرض الميعاد. فالأرض إذاً هي ساحة يتمّ عليها إمّا ضياع الذات أو تحقيقها.

ثانياً، لم يبلغ أرض الميعاد إلاّ ابراهيم والذين أخلصوا للّه بإيمانهم. أمّا الذين لم يؤمنوا فمنهم من لم ينضمّ الى الدعوة، ومنهم من هلك قبل بلوغه أرض الميعاد. وهكذا كان الأمر مع الشعب المختار زمن موسى. فبعد خروجهم من مصر، بقوا أربعين سنة في صحراء سينا، ولم يبلغ منهم أرض الميعاد إلاّ الذين أخلصوا بإيمانهم للّه.

ثالثاً، حتى بعد بلوغ الشعب المختار أرض الميعاد واستقرارهم فيها، كان إيمانهم باللّه مقياساً لراحتهم وسعادتهم. فإذا ما ضعف، تعرّضوا لامتحانات جديّة مصيريّة تشتدّ وتقسو بقدر جديّة ضعف إيمانهم، وتندثر وتنهزم بقدر قربهم من اللّه وجديّة علاقتهم وتعلّقهم به كأب وإله في آن.

في بلوغ زمن الخلاص تجسّد المسيح وجدّد الميثاق بين اللّه والانسان؛ وهذه المرّة جعل من الميثاق ميثاق خلاص لكلّ إنسان يؤمن به. لا تمييز على أساس شعب أو لون أو عِرق. لقد ولد المسيح وعاش في أرض الميعاد. وبالرّغم من تشديده على أنّ الانسان هو في العالم وليس من العالم، فقد جعل من المرحلة الزمنيّة في العالم دوراً أساسيّاً لدرجة أنّه لم يقدِّم الخلاص للبشر إلاّ بعد أن ساكنهم في أرضهم كواحدٍ منهم، بل أصبح إنساناً مثلهم في كلّ شيء سوى الخطيئة.

إذا ما اعتبرنا بأنّ مع مجيء المسيح أصبحت دعوة الخلاص موجّهة لكلّ إنسان، وأنّ أرض الميعاد من خلال رسالته أصبحت كلّ بقاع الأرض، وإذا ما تذكّرنا بأنّ القداسة والطهارة والإيمان باللّه هي شروط أساسيّة لمن يدخل أرض الميعاد... فيتحتّم القول بأنّ المسيح الانسان وأمّه مريم هما الانسانان الوحيدان على الاطلاق اللذان يحقّ لهما أن يكونا من مواطني أرض الميعاد؛ وما البشريّة بأجمعها منذ البدء حتى النهاية سوى دخيلة عليها.

لقد شاء اللّه ألاّ يكون للإنسان سبيلٌ للخلاص من دون مسرح الأرض. لكنّ الإرتباط الحتميّ في الأرض لا يعني المبايعة لها، بل هو من حتميّات وجود الانسان المدعو للحياة الأبديّة التي

لا يستطيع الزمن والمكان استيعابها. من هنا نفهم إنتشار الرسل في مختلف أنحاء العالم، وتأسيسهم للجماعات المسيحيّة التي نعرفها اليوم بالكنائس (كانِش من السريانيّة تعني جمّع – كينيست في العبريّة المتحدّرة من الأراميّة تعني المجمع، من هنا الكنيسة أي الجماعة).

٢- مفهوم الأرض في التراث المارونيّ (١)

الكنيسة المارونيّة هي كنيسة أنطاكية النشأة وسريانيّة الطقس. وهي مثل شقيقاتها، كنيسة تستنير بتعاليم الفادي المسيح الإله، وتدعو أبناءها للسير على خطاه إذا ما شاؤوا الخلاص الأبديّ.

تتميّز الكنيسة المارونيّة بأنّها الوحيدة بين الكنائس التي تحمل إسم مرشدها ومؤسّس جماعتها، أعني الراهب والناسك مار مارون، وهي الوحيدة التي ما زالت واحدة متوحّدة بإيمانها وإخلاصها للإيمان المسيحيّ الكاثوليكيّ.

وهي الكنيسة التي تأسّست على أساس النسك والزهد والتعبّد والصلاة. فإذا ما شئنا أن نفيها حقّ تسميتها، فيجب القول الكنيسة المارونيّة النسكيّة الانطاكيّة السريانيّة. وهل من عجب أنّ اليوم، ومن بين كاثوليك العالم كافة، ويمكن القول بين مسيحيي العالم أجمع، أن تكون كنيسة مارون الكنيسة هي الوحيدة التي ما زال تراث النسك فيها ينبض بالحياة؟

زَهد الموارنة في الأرض وما تعلّقوا بها، فكان أن تركوا سهول أرض المنشأ الخصبة في سوريا، وأَتوا إلى جبال لبنان الوعرة، وأخذوا منها مسكناً، أصبح فيما بعد مركزاً للكرسيّ البطريركيّ، وموطناً لعدد كبير من أبناء الكنيسة المارونيّة.

صحيح بأن أرض لبنان ليست "أرض الميعاد"، فقد قصد الموارنة جبال لبنان لوعورتها ولعصيانها على الدخيل العدوّ، كما وأنّ في أواسط القرن التاسع عشر كان أكثر الموارنة على استعداد للرحيل إلى الجزائر بعد أن فقدوا صبراً في تحمّل الاضطهادات وعجزوا عن تجنب المذابح.

لكنّ حتميّة الوجود على الأرض لا مفرّ منها... وكما في زمن ابراهيم وموسى، الأمرِ كان ولا يزال أمر إيمانٍ باللّه، وأمر استحقاقٍ لأرضٍ يعيش عليها المارونيّ ويعبد ربّه.

على الشعب المارونيّ أينما وُجِد، وخاصّة في لبنان لأنّه مركز الثقل الدينيّ والمعنويّ، عليه إمّا

أن يختار أن يكون مارونيّاً هويّةً وديناً وإيماناً – عند ذاك يكون أمر الأرض أمراً دينيّاً محقّاً؛ وإمّا أن يبتعد عن هذين – الدين والايمان – فيصبح شأن الأرض شأناً تجاريّاً أو سياسيّاً أو غيره... من شؤون الدنيا، وعند ذاك لا حاجة لنا للبحث فيه هنا، لأن الخيار الثاني يُفقد العقيدة من المفهوم المارونيّ؛ وكلّ بحث في المارونيّة لا يرتكز على الايمان والدين، ليس من المارونيّة بشيء ولا شأن لنا به.

هذا لا يعني بأنّ على الموارنة الابتعاد عن كلّ الشؤون الدنيويّة، بل يجب على كلّ مارونيّ مسؤول أن يتعامل مع كلّ هذه الأمور، ليس من خلال هويّته الاجتماعيّة والسياسيّة، بل من خلال إيمانه وعقيدته الدينيّة، أي من خلال شهادة حياة وتعاملٍ أصيل مع الآخَر فيعرفه الناس من ثماره.

وإذا ما استوحينا من تجربة الشعب المختار في أرض الميعاد حيث كان شقاؤهم يقاس بمقدار بعدهم عن ربّهم، نرى بأنّ من الممكن لهذه المعادلة أن تنطبق على الشعب المارونيّ.

لقد تعدّدت الأسباب، لكنّ النتيجة واحدة، وهي أنّ نسبة كبيرة من الموارنة يهملون دينهم وإيمانهم باللّه، وإنّ عدداً منهم لا بأس به اكتفى من الهويّة المارونيّة بالبعد السياسيّ أو الاجتماعيّ؛ هذا ما إذا كانوا لا يزالون يذكرون أنّهم موارنة. إذا ما شاء الموارنة الحفاظ على أرضهم في لبنان، وبالتالي على الوجود المارونيّ في هذا البلد، فما عليهم إلاّ أن يعيشوا مارونيّتهم وأن ينصهروا فيها؛ عندئذ يستحقّون البقاء في "أرض الميعاد".

٣- مفهوم الأرض في التراث المارونيّ (٢)

توطّدت العلاقة بين الرعاة والقطيع لدرجة أنّ الكثير من أبناء الكنيسة المارونيّة، خاصّة الذين كثرت أموالهم وممتلكاتهم حتى من غير أبنائها، أو كانوا يهبون ما فاض عنهم إلى الرعاة كي، ومن خلال تدبيرهم (أي الرعاة)، يستطيع المعوزون من إخوتهم الإفادة منها. هنا يجدر الذكر بأنّ العطاء هذا لم يقتصر على الذين فاض خيرهم، بل وعلى الذين كان لديهم القليل ووهبوه للكنيسة الأمّ وفاءً لنذر أو شكراً على نعمة، أو تعبيراً عن قناعة وتجرّد، وحبّاً في مساعدة الغير. كلّ هذه المبادرات كانت تعبّر أيضاً عن ثقة الرعايا بالرعاة، وعن تفاني الرعاة في سبيل الرعايا.

وهكذا نرى اليوم، خاصّة في لبنان، أنّ الكنيسة تملك أوقافاً واسعة، والحمد للّه أنها لا زالت تملكها. فقد حافظت عليها في الأيّام الصعاب ولم تكبُ كما كبا الأفراد والمالكون الذين، ما إن

مرّوا بظروف قاهرة، وما أكثرها هذه الأيّام، حتّى باشروا في بيع أراضيهم. وما زال العديد منهم في هذا الصدد. فمحاولتهم في الكسب السريع، غالباً ما ساهمت في تفاقم الأزمات التي قصدوا معالجتها، إذ تُصرف الأموال ويعود وضع هؤلاء إلى أسوأ ممّا كان عليه من قبل.

يجب الاعتراف اليوم بأنّ الكنيسة المارونيّة تتحسّس مشاكل أبنائها الروحيّة بل والاقتصاديّة أيضاً. وفي المجال الاقتصاديّ هناك محاولات تُشكَر الكنيسة عليها، لأنّها فتحت باب الفرج لعدد من أبنائها. لكن يجب القول أيضاً بأنّ هذه المحاولات لا تزال خجولة؛ ويمكن أن تأتي بثمار أكثر لعدد أكبر من أبنائها الذين هم في حاجة فعليّة للمساعدة، إذا ما أعطت الكنيسة لهذا الموضوع الاقتصاديّ اهتماماً ثابتاً وجعلته من أوّليّاتها الدنيويّة، وكلّفت اختصاصيين من أبنائها الملتزمين ليقوموا بدراسة وتنفيذ هذه المشاريع تحت إشرافها المباشر. فالكنيسة المارونيّة بحاجة إلى وضع خطّة تنمويّة علميّة شاملة لاستثمار الأوقاف التي يمكن استثمارها، فيستفيد منها العدد الأكبر الممكن من أبنائها الذين يتمّ التثبت من وضعهم المحتاج، وأن تحصل تلك الخطّة على بركة رعاة الكنيسة.

٤- الأرض تحت تصرّف الرعايا - إقتراحات

في الماضي كان الموارنة جماعة متواحدة بأكثريّتها في منطقة جغرافيّة واحدة حول مرشدها الروحيّ الذي شغل في عدّة مراحل تاريخيّة منصب القيادة الزمنيّة، عنيت البطريرك المارونيّ. كان للتواجد المارونيّ الجغرافيّ ظروف أمنيّة ووجوديّة تحتّم هذا التواجد، ليس المجال هنا للبحث فيها. لكنْ مؤخّراً وبغياب تلك الظروف، وبسبب تفاقم بعضها، توسّعت رقعة التواجد المارونيّ خياراً عند البعض الآخر. ونحن اليوم نعيش واقعاً يتواجد فيه الموارنة في كلّ أنحاء العالم، مع الحفاظ على القاعدة الروحيّة في لبنان؛ مع أنّ التباعد الجغرافيّ غالباً ما يؤلم المشاعر، فإنّه أثبت جدواه، خاصّة خلال السنوات العجاف. فعند الأزمات الاقتصاديّة المحليّة كان الموارنة في لبنان يرتكزون على مساعدات أهلهم في المهجر.

تجدر الملاحظة هنا بأنّ عدد الموارنة في العالم هو أضعاف أضعاف الموجودين في لبنان. وأنّ القدرات الاقتصاديّة عند عدد منهم لا يستهان به هي أيضاً هائلة ولا تزال غير مستثمرة كما يجب أو كما العدد الكبير منهم يحبّ أن يستثمرها في الوطن الأم.

اقتراحات عمليّة

١ - أن تعتمد الكنيسة المارونيّة مبدأ المشاركة مع المحتاجين ومساعدتهم. في سبيل هذه المشاركة، كي تكون مشاركة متوازنة مع وتجاه كلّ المحتاجين، نقترح تكليف اختصاصيين من موارنة ملتزمين كي يقوموا

- بتقييم ممتلكات الكنيسة.
- فصلها إلى عقارات غير صالحة للإستثمار أو غير قابلة للاستثمار، وإلى عقارات صالحة للاستثمار.
- تقسيم العقارات الصالحة للإستثمار إلى حصص متناسبة ومتساوية بقدر الإمكان.
- دراسة شاملة لوضع المحتاجين من أبناء الكنيسة وإثبات وضعهم المحتاج.
- توزيع العقارات بالتساوي على أبنائها المحتاجين لمدد محدودة من الزمن، بين ستّ وعشر سنوات غير قابلة للتجديد، إلاّ إذا لم يكن هناك من محتاجين لم يحصلوا على مساعدة بعد، أو بأيّة طريقة يراها الاختصاصيّون مناسبة.
- أن يدرس الأختصاصيّون نسبة الحصص حين يبدأ الاستثمار، كي يأخذ المحتاج قدر أتعابه، وأن تأخذ الكنيسة نسبة يجب ألاّ تشكّل خطراً على وضع شاغل الأرض الاقتصاديّ.
- كي تشجّع الكنيسة مشاريع البناء وتشجّع أبناءها على التملّك كي يتمكّنوا من تأسيس عائلة وتتسهّل أمامهم كرامة العيش.

٥- الأرض وسلطة الكنيسة: بطريرك أنطاكية وسائر المشرق أو بطريرك الموارنة

حسب العلاّمة الدويهي، الكنيسة المارونيّة هي إحدى الكنائس الثلاث التي تنسب إلى كرسيّ بطرس في أنطاكية، وهذا أساس لاهوتيّ لا يتأثّر بالتغييرات الزمنيّة والجغرافيّة. فالكنيسة المارونيّة تشرّع وجودها من خليفة المسيح والمكلّف من قِبَله بترؤس الكنيسة، خاصّة وأنّ الكنيسة منذ نشأتها كانت ولا تزال وفيّة للإيمان البطرسيّ الكاثوليكيّ المسيحيّ.

أمّا في ما يخصّ "سائر المشرق" فنرى في هذا العنوان إجحافاً بحقّ أبناء الكنيسة المارونيّة

الذين هم اليوم وبأكثريّة ساحقة في بلاد الغرب الأوروبي والأميركي، فضلاً عن انتشارهم في سائر أقطار العالم. وإذا ما عدنا إلى كتاب "منارة الأقداس" للعلاّمة الدويهي نجد ما يلي:

١ - أن يكون الرئيس قاطناً في بلاد الشام حيث الكرسي الأنطاكي لكي يكون رقيباً على خراف الربّ مجتهداً في حفظها من الذئاب الخاطفة ويدعوها باسمها فتتبعه (ج١ ص ٢٣٥).

٢- ثمّ إنّنا نثبت كراسي المطارنة والأساقفة التي سنأتي بذكرها وهي على مقتضى سلطان الرئاسة لسيّدة يانوح كنيستك أيّها الأخ البطريرك المتولّي رئاستها من اللّه تعالى وهم خاضعون لك وللّذين يخلّفونك. أعني مطرانيّة مار آسيا وجبّة بشرّي وأسقفيّة المنيطرة ورشعين وكفرفو وعرقة (ج ١ ص ٢٣٧).

نستنتج ممّا سبق بأنّ التحديد "سائر المشرق" وُضِع من قبل روما بسبب انحسار تواجد الموارنة آنذاك في منطقة المشرق جغرافيّاً، وحرصاً من روما على أن يكون راعي الخراف قريباً من خرافه كي يستطيع مراقبتها والحفاظ عليها.

وإذا ما نظرنا في واقع الموارنة اليوم نرى بأنّ هذا اللقب، أي "سائر المشرق" لا يتطابق أبداً مع الواقع على الأرض، ولا مع روحانيّة قرار روما آنذاك، ولا يجوز ألاّ يؤخذ الواقع وروحانيّة النص بعين الاعتبار. فالبطريرك المارونيّ هو أب لأبنائه أينما كانوا وأينما وجدوا، وبالتالي نقترح أن يعاد النظر في اللقب البطريركيّ ومن خلاله في حدود الصلاحيّة، حفاظاً على الروح العائليّة في الكنيسة وحفاظاً على التراث المارونيّ. هذا الطلب يتناغم مع تشديد قداسة البابا الحاليّ على الحفاظ على التراث والتفاعل الأخويّ والدينيّ بين أبناء الكنيسة الجامعة، والمبنيّ على احترام الآخر ومحبّته.

الكنيسة المارونيّة والتربية

عبدو القاعي

آفاق التغيير التربويّ في عالم اليوم

دور الموارنة

نحن نعرِّف التنشئة كفعل إعدادي يتّجه بشكل أحاديّ من المُنشئ إلى المنشأ. الأب والأم ينشّئان أولادهم على نظم الحياة كما عرفوها ونشأوا عليها.

المعلّم ينشّئ التلامذة على ما هو قائم وسائد من معارف ونظم وقِيَم وتقاليد، مساهماً بذلك في تكييفه مع متطلّبات الحياة الجارية في الجماعة التي يعيش فيها أو المجتمع الذي يتحضّر له.

وهكذا دواليك، من البيت إلى المدرسة إلى الجامعة، التنشئة هي فعل لعارف، وهي حالة تلقٍّ لمن لا يعرف. يهدف هذا الفعل إلى عدم الإخلال بالتوازن في الحياة العامّة، وإلى إعطاء الفرد الكفاءات والقدرات اللازمة لكي يعيش داخل الجماعة بشكل يسمح له أن ينمو هو وأن ينمّيها هي. فالتنشئة، من هذا المنطلق، لا تسأل عمّا يكتنزه الفرد من قدرات مغايرة لما هو سائد ومعروف، بل بالعكس تحاول أو تجيّر هذه القدرات لأقنية المعارف والحاجات السائدة؛ وإذا لم تتمكّن، فهي قادرة على تهميشه وتصنيفه بعين غير الطبيعيّين.

من هنا، كانت ضرورة إعادة النظر في التنشئة لنقلها من مصافّ الفعل في الآخر إلى الفعل الذي يمكن أن يصدر عن الآخر لو توقّفنا عن القول وترقّبنا قوله هو. فكان، مع مدرسة فرينيه (Frenet)، في بدء القرن العشرين، البحث البيداغوجيّ للانتقال من التنشئة إلى التنشّؤ على الآخر. وهذا ما يفترض إجراء نقلة نوعيّة في دور المعلّم، بحيث يتمّ التركيز على الولد كباحث عن المعارف والمكتسبات التي تهمّه بالاستناد إلى دعوته الشخصيّة، وقدرات الخلق والإبداع المتوفّرة لديه. فالمعلّم في هذه العمليّة التنشيئيّة، يصبح هادياً للطالب ومصغياً له.

إنّ إعادة النظر هذه لم تفلح إلاّ بدرجات متفاوتة، حتى في البلدان الأكثر تقدّماً. وقد عطّلتها، بشكل أخصّ، المنافسة القويّة التي غزت أنظمة التعليم ودفعتها لإخضاع الطلاّب لعمليّات

قيصريّة تغرز، من خلالها الناجحين وفقاً لمقاييس النجاح، في المجتمعات المبنيّة على التكيّف السريع والفاعليّة في العمل ودرّ الأرباح السريعة على أصحاب العمل الذين سيوظّفونهم.

وكان ما كان في القرن العشرين، فنسينا ما كنّا قد بدأناه في هذه الورشة، فإذا بنا نقع في إشكاليّة البطالة التي تعزّزها هشاشة المنتجات التربويّة وسرعة التغيّرات التي أملتها ثورة التكنولوجيا. ومن أهمّ ما أوصلت إليه هذه الثورة، أنّ أولادنا اليوم غدوا يعرفون قبل معلّميهم ما هو متغيّر ف يالعالم المعاصر في حالاته الأكثر حداثة، ممّا أربك العمليّة التعليميّة، حيث الأهل والمعلّمون معاً مصرّون على أن ينشّئوا أولادهم على ما هو فيهم ولهم وعلى معارف تترجّح ارتباكاً بفعل سرعة المعرفة.

من هنا، نقترح التركيز على إعادة النظر الشامل في فعل التنشئة، لكي ننقله أوّلاً إلى مصافّ التنشّؤ عبر تعزيز الإصغاء إلى أولادنا بدلاً من إملاء معارفنا عليهم، ولكي نتمرّس ثانياً كأهل ومربّين على التنشّؤ مع أولادنا على العالم الجديد الذي نتقدّم نحوه وأولادنا أمامنا وليس وراءنا.

الكنيسة المارونيّة والسياسة

د. ميشال نعمه

الكنيسة المارونيّة والسياسة

كما أنّنا لا نريد للسياسة أن تدخل الأكاديميا بل أن تدخل الأكاديميا في السياسة، كذلك لا نريد للسياسة أن تتدخّل في القيم الكنسيّة بل أن تدخل القيم الكنسيّة في السياسة. إذا كان للدولة والسياسيين سلاح البارود والبنادق، فإنّ سلاح الكنيسة هو الكلمة؛ ويقول Sigmund Freud في هذا المجال: كلمات... كلمات... كلمات وكم تريح الكلمات وتطرد خارجاً معاناة الناس. يجب أن لا نحتقر الكلمة، وفي النهاية الكلمة هي الأداة الأفعل.

فيما يتبع من تعليق على موضوع الكنيسة المارونيّة والسياسة، اعتمدت في البحث على المراجع التالية:

قراءات من Sigmund Freud

Political Actors: Catholic Church and Foreign Actors Julio F. Carrion From Passivity to Political Resources: The Catholic Church and Nationalism by Chris Lundry Against the Absolutism of Science and Society by Parvez Manzoor Public Religions in the Modern World. José Casanova Religion and the Making of Society. Charles Davis. Overcoming Tradition and Modernity: The Search for Islamic Authenticity. Robert D lee.

إنّ السياسة ترفض أن تستقرّ فهي تتغيّر دائماً، وبفعلها هذا إنّما تخلق حالة من الذعر (Anxiety) عند جميع الناس. السياسة كانت وستبقى تتغيّر، وبذلك فهي تفرض حالة الذعر المستمر.

إنّ أعمق تعريف للسياسة، وهو تعريف متّبع في معظم كتب السياسة، أنّها: سلطة توزيع القيم في المجتمعات، أكانت هذه المجتمعات محليّة أو دوليّة، أو كانت هذه القيم اجتماعيّة، اقتصاديّة، أو إيديولوجيّة فلسفيّة. (Authoritative allocation of values)

فإذا كانت السياسة في منطلقاتها تعنى بالقيم، فإنّ الكنيسة هي في صلب السياسة، لأنّها الراعي الأوّل للقيم في مجتمعاتها.

. أمّا إذا كانت السياسة في مفهومها الضيّق هي انتخابات وتوزيع حقائب إداريّة ووزاريّة، وهذا مفهوم خاطئ لأنّ الانتخابات والتعيين هي أدوات للسياسة ليس إلاّ، فإنّ الكنيسة لا تتعاطى بالأدوات، بل شأنها هو السياسة في مفهومها المطلق المتعلّق بتوزيع وإدراج القيم.

إنّ السياسة بدون قيم، أي إذا اقتصرت السياسة على الأدوات فقط، ترمي نفسها في منحى خطير جدّاً، وتهلك مجتمعاتها، خاصّة في ظلّ العولمة، وتحكّم قواعد السوق التجاريّة بالعلاقات الإنسانيّة.

إنّ العصرنة العلمانيّة (secular modernity) المبنيّة على التنافس والتناحر التجاريّ وكذلك التناحر الفرديّ وتناحر وتنافس المؤسّسات كافّة، لم تفرز بعد ضوابط يمكن الاعتماد عليها لضمان استقرار المجتمعات وردع النزاعات. إنّ العصرنة العلمانيّة بحاجة ماسّة لقيم الكنيسة التي تصبّ مباشرة في الشأن السياسيّ والاجتماعيّ والاقتصاديّ.

إنّ العصرنة العلمانيّة السائدة اليوم وفي معظم المجتمعات والدول أعطت الكنيسة والمؤسّسات الدينيّة الأخرى طابع ال NGO. وتتعامل العصرنة العلمانيّة مع الكنيسة على أنّها من المنظّمات غير الحكوميّة التي لها طابع اجتماعيّ مفيد. والذي يؤكّد على هذا في دولة أميركا والغرب أنّه عند توزيع الإعانات الماليّة على المنظّمات غير الحكوميّة NGO يكون للكنيسة نصيبٌ من هذه الإعانات وهذا التمويل الرسميّ. وفي هذا المجال يطغى على دور الكنيسة المارونيّة في لبنان تساؤلات كثيرة حول تعميم مفهوم العلمانيّة وتعاطيها مع النظريّات السياسيّة التي بنيت على المفهوم العلمانيّ.

هذه التساؤلات تدور حول:

١- منحى الكنيسة المارونيّة لإنشاء وتطوير قوميّة محليّة (indigenous nationalism)، وهذا يعني انفكاءها عن عولمة دور الكنيسة الكاثوليكيّة.

٢- دور الكنيسة المارونيّة في الدفاع فقط عن المسيحيين اللبنانيين دون سواهم من مسيحيي الشرق وبقيّة المجتمعات المسيحيّة.

٣- كانت الكنيسة المارونيّة تحارب جميع التيّارات اليساريّة، في حين كان جزء من عمل هذه التيّارات الدفاع من حقوق العمّال والفقراء. فهل ستتبنّى الكنيسة راية الدفاع عن حقوق

الإنسان الضعيف في المجال المدنيّ والاقتصاديّ والاجتماعيّ، في ظلّ غياب تامّ واندحار للتيّارات اليساريّة؟.

٤ – بفعل اعتبار الكنيسة المارونيّة من ال NGO المنظّمات غير الحكوميّة، هل ستتعامل مع بقيّة الكنائس المسيحيّة في العالم على أساس أهداف داخليّة محليّة ضيّقة أو على أساس أهداف إنسانيّة شموليّة ودوليّة.

٥– إذا كانت الحكومة الأميركيّة وسياستها الخارجيّة هي الأقوى والأفعل في منطقة الشرق الأوسط، وكيف ستتعامل الكنيسة المارونيّة مع الكنائس الكاثوليكيّة وغيرها في أميركا، ونحن نعرف مدى قوّة الكنائس والمؤسّسات المسيحيّة في أميركا ومدى تأثيرها على السياسة الخارجيّة الأميركيّة.

٦ – كيف ستتعامل الكنيسة المارونيّة مع (multinational corporations) والرأسماليّة المتعدّدة الجنسيّة، وما هو موقفها منها؟

٧– كيف ستتعامل الكنيسة مع (multilateral organizations) مثل البنك الدوليّ (W.B.) وبنك التسليف الدوليّ (IMF) و(WTO) منظّمة التجارة العالميّة؟

* تعليق: يستحسن أن يكون للكنيسة المارونيّة، حتى ولو بصفتها NGO، موقف من جميع هذه المنظّمات، وأن يكون لها دور في التأثير على العلاقة معها.

شهدت الكنائس الكاثوليكيّة وعلى مرّ الدهور نضالاً مريراً مع السياسة الدوليّة ومع السياسات الداخليّة في جميع المجتمعات المسيحيّة والمختلطة، والملاحظ من هذا النضال مواقف الكنائس الكاثوليكيّة في العالم الثالث ومواقف الكنيسة المارونيّة في لبنان الذي بدأ يتغيّر تغييراً ملحوظاً بدءاً من النصف الثاني للقرن العشرين.

حتى زمن قريب كانت هذه الكنائس جزءاً من النظام السياسيّ، خاصّة في المجتمعات ذات الأكثريّة الكاثوليكيّة، وكانت الكنيسة تدعم الأنظمة حتى ولو كانت هذه الأنظمة ديكتاتوريّة أو تسلّطيّة.

دخل إلى السلك الكهنوتيّ مؤخراً عناصر جديدة تتحلّى بطابع الإصلاح على جميع المستويات وبطابع نهج اجتماعيّ جديد، حتى أنّ البعض أطلق على هذا النهج الجديد مفاهيم "ثوريّة". هذه

العناصر الكهنوتيّة الجديدة قلبت معايير تعاطي الكنيسة مع الأنظمة الديكتاتوريّة إلى المدى الذي أزعج هذه الأنظمة وبدأت هذه الأخيرة بسياسة العنف مع الكنيسة.

لن أسهب في هذا المجال، فالمراجع موجودة.

إنّما أريد أن ألمح في هذا المجال، وفي هذا السياق، إلى دور ومواقف الكنيسة المارونيّة قبل الحرب الأهليّة في لبنان، والدور الذي اتّبعته خلال الحرب، والتغيير الحاصل في هذا الدور والمواقف بعد انتهاء الحرب أو مرحلة ما بعد الطائف.

أريد أن أختم هنا بالقول بأنّ أميركا استخدمت الأصوليّة الإسلاميّة لمحاربة الشيوعيّة، فحقّقت هدفاً واحداً في أفغانستان، وهي تدفع الآن ثمن هذا الانتصار المحدود. أمّا الكنيسة الكاثوليكيّة، وبعد المجمع الفاتيكانيّ الثاني (١٩٦٢ - ١٩٦٥)، وعندما قرّرت محاربة الديكتاتوريّة بشتّى أنواعها، فاستطاعت وفي خلال ٢٥ سنة أن تفتّت الاتحاد السوفياتيّ وتقضي على الشيوعيّة.

فما لم تستطع الولايات المتّحدة أن تحقّقه بأدواتها العسكريّة حقّقته الكنيسة الكاثوليكيّة بالكلمة، والكلمات... الكلمات... الكلمات...

د. جورج لبكي

الكنيسة المارونيّة والسياسة

لقد حدّد الارشاد الرسوليّ العلاقة بين الكنيسة والسياسة، إذ جاء في الارشاد ما يلي: "لا يمكن أن يكون للمسيحيين حياتان متوازيتان: إحداهُما مسمّاة روحيّة والأخرى علمانيّة. ولكلٍّ منهما قيمها المختلفة. وهذا مبدأ ينطبق على الجميع. ولكي يُدخِلوا روح خدمة الانسان والمجتمع في النظام الزمنيّ، وهي روح إنجيليّة لا يجوز للعلمانيين التخلّي عن المشاركة في السياسة، أي عن النشاط الاقتصاديّ والاجتماعيّ والتشريعيّ والاداريّ، والتفاني المتعدّد الأشكال والهادف إلى تعزيز الخير العام، عضوياً وعبر المؤسّسات. (الارشاد الرسوليّ: ١١٥ ص ١٨٠)

الكنيسة المارونيّة والسياسة: نظرة تاريخيّة

على الصعيد التاريخيّ، لقد لعبت الكنيسة المارونيّة دوراً بارزاً في الحياة السياسيّة داخل الطائفة المارونيّة وعلى الصعيد اللبنانيّ. ويمكن القول إنّ هذه الكنيسة لعبت وتلعب دوراً قوميّاً، بالإضافة إلى دورها الوطنيّ وهي في ذلك تشبه إلى حدّ كبير الكنيسة الكاثوليكيّة في بولونيا. فالبطريرك المارونيّ كان خلال القرن التاسع عشر الشخصيّة الأكثر نفوذاً في جبل لبنان (داخل الطائفة وخارجها). وقد تجسّد هذا الدور في قيام دولة لبنان الكبير عام ١٩٢٠، والتي لعبت البطريركيّة المارونيّة دوراً محورياً في قيامه.

ولكنّ المفارقة الكبرى تكمن في أنّ هذه المعادلة تغيّرت بعد قيام دولة لبنان الكبير، إذ ظهرت طبقة سياسيّة مدنيّة تولّت المناصب الوزاريّة والنيابيّة والاداريّة، وعلى رأسها رئاسة الجمهوريّة. وكانت نتيجة ذلك أنّه في الحالات السياسيّة العاديّة، وفي غياب أيّة توتّرات اجتماعيّة أو أمنيّة تقوى الزعامات المدنيّة ويتراجع العامل الدينيّ. وقد وصل ذلك إلى حدّ تجاهل كامل لدور الكنيسة على الصعيد الوطنيّ. وعلى العكس، ففي ظلّ الأزمات وتراجع دور الزعامات السياسيّة المدنيّة يقوى العامل الكنسيّ من جديد، لأنّ الناس يشعرون بالحاجة إلى الحماية التي لطالما حملت رايتها الكنيسة المارونيّة وعلى رأسها البطريركيّة. ولقد تجلّى ضعف الكنيسة المارونيّة عندما عجزت عن وقف التقاتُل المارونيّ-المارونيّ في أواخر الثمانينات.

أمّا اليوم فبسبب حالة الفراغ على صعيد الزعامات السياسيّة المارونيّة، فلقد تجلّى الدور السياسيّ للبطركيّة المارونيّة كلاعب أساسيّ على الصعيد اللبنانيّ والأقليميّ والدوليّ.

في المبادئ التي تُنادي بها الكنيسة المارونيّة على الصعيد السياسيّ.

لقد احتوى كلٌّ من الارشاد الرسوليّ والمجمع المارونيّ على عدد من الثوابت على الصعيد السياسيّ، يمكن تلخيص أبرزها بما يلي:

- استقلال لبنان التام وضرورة بسط سيادة الدولة على كامل أراضيه.

- الحريّة التي هي في أساس النظام اللبنانيّ، وتتقدّم حتى على مبدأ العيش المشترك.

- الخصوصيّة اللبنانيّة الناتجة عن تعدّد الأديان والثقافات والانفتاح على الحضارات العالميّة وضرورة مراعاة هذه الخصوصيّة في القوانين.

- دور لبنان في محيطه العربيّ، وهو دور رسوليّ حضاريّ رائد. وقد شدّد الارشاد الرسوليّ على أنّ لبنان مرتبط ارتباطاً عضوياً بمحيطه العربيّ.

٦- قيام دولة المؤسّسات والحق.

٧- احترام حقوق الانسان.

- اعتماد مبدأ الحوار القائم على الاحترام المتبادل كسبيل وحيد لحلّ الخلافات ولمراعاة مشاعر الأفراد والجماعات المختلفة.

- العيش المشترك بين جميع الطوائف اللبنانيّة.

- التضامن مع المحيط العربيّ.

- بناء نظام سياسيّ واقتصاديّ واجتماعيّ عادل.

الاشكاليّات

- الكنيسة لا ترتبط بأيّ نظام سياسيّ.

- الكنيسة لا تقترح برامج اقتصاديّة أو خطط تنمية أو أنظمة سياسيّة.

- الكنيسة تذكّر بالمبادئ الأنجيليّة التي تدعو إلى احترام الفرد وتقاسم الثروات بين الدول الغنيّة والدول الفقيرة وبين الأغنياء والفقراء داخل كلّ دولة.

- الكنيسة تطالب بأمور وجوديّة (كالحريّة والاستقلال)، بينما تطالب الطوائف الأخرى بأمور مطلبيّة (كالخدمات الاجتماعيّة).

التحدّيات

الوضع الصعب للأقليّات في كلّ دول العالم وليس فقط في الشرق الأوسط وتحدّيات التأقلم مع حُكم الأكثرية.

- نتائج الحرب السلبيّة على المسيحيين على صعيدين أساسيين: المشكلة الديموغرافيّة ومشكلة الهجرة الناجمة عن عدم القناعة بوجود مستقبل زاهر وآمن في هذه البقعة من العالم.

- تراجع وانكفاء الزعامات السياسيّة المارونيّة بفعل التهجير، أو قوانين الانتخاب الجائرة منذ ١٩٩٢، الاغتيالات، انكفاء الزعامات السياسيّة التي نشأت خلال الحرب، عدم تمكّن النُخَب من المارونيّة من الارتقاء على الصعيد السياسيّ بسبب السيطرة المحكمة لما تبقّى من الزعامات السياسيّة التقليديّة على الساحة السياسيّة. (وكما أشرنا سابقاً فقد أضطرّت بكركي إلى سدّ هذا الفراغ، فأضحت ضمير، ليس فقط المسيحيين، بل الكثير من اللبنانيين).

- الطلاق الكامل بين الكنيسة المارونيّة والادارة العامّة (Public Administration)

- ترجمة الشعارات والمبادئ إلى أمور مطلبيّة عمليّة من خلال وضع آليّات لحصول المسيحيين على حقوقهم الاجتماعيّة والتربويّة والصحيّة.

- المساعدة على إعداد كوادر تنخرط في الشأن العام والادارة، وهذا ما يدعو إليه الإرشاد الرسوليّ صراحةً وبقوّة. (الارشاد الرسوليّ: ١١٥، ص ١٨٠)

ونهايةً، فالكنيسة المارونيّة مدعوّة إلى إعادة تنظيم نفسها وتحديث هيكلتها وإدارتها، لكي تتمكّن من التعامل بنجاح مع الواقع الجديد الذي نشأ بعد الحرب.

د. منصور عيد

الكنيسة المارونيّة في عالم اليوم

الكنيسة المارونيّة والميثاقيّة

الكنيسة المارونيّة عضو في جسد الكنيسة الكاثوليكيّة المسكونيّة الموحّدة تحت سلطة بابا روما، رأس الهرم الأعلى في الهيكليّة الواحدة ذات الوجهين السماويّ والأرضيّ. وإذا كانت العقيدة المسيحيّة تستمد من الأناجيل روحيّتها الايمانيّة والعمليّة، فإنّ الأناجيل لا تحدّد بدقّة التشريع المدنيّ والسياسيّ للانسان المسيحيّ، بل تكتفي بإشارات مثاليّة يغلب عليها التوجيه الروحيّ، ممّا حدا بالمؤسّسة المنظّمة، أي الكنيسة، لأن تضع الوصايا التي تساهم إلى حدّ ما في ضبط الحياة الاجتماعيّة للانسان في إطار نظام أخلاقيّ لا يفتح المجال واسعاً وتفصيلاً أمام التشريع المدنيّ. والكنيسة عبر تاريخها الطويل ساهمت في التنظيم السياسيّ للشعوب، وفرضت نفسها سلطة روحيّة ومدنيّة معاً، من باب التفرّد بالسلطة وحصريّتهما وليس من منطلق العقيدة. فالمسيح قال: **مملكتي ليست من هذا العالم.** غير أنّ الفصل قد تمّ بين الدولة والكنيسة وكرّس استقلاليّة الدولة، وجعلها سلطة تخضع لقوانين مدنيّة تراعي حاجات الشعوب وتفاعلها وتطوّرها الحضاريّ.

ذلك لا يعني أنّ الكنيسة قد عزلت نفسها في بوتقة قضاياها الروحيّة بعيداً عن مشكلات شعوبها المتنوّعة. وبالعكس، فإنّ نفوذ الكنيسة السياسيّ استمرّ يلعب أدواراً أساسيّة في تقرير كثير من أشكال الأنظمة السياسيّة السائدة في العالم. بل إنّ هذا النفوذ يتدخّل أحياناً في تبديل جذريّ للأنظمة السياسيّة الحاكمة. ومن المؤكّد أنّ أهميّة العنصر الروحيّ لدى الشعوب يبقى أساساً مهمّاً في توجيه سلوكهم وتصرّفاتهم وتوجّهاتهم المتنوّعة، ممّا يكسب السلطة الكنسية قوّة مستمرّة وفاعلة. ولا بدّ هنا من الاشارة إلى الدور الذي لعبته الكنيسة في إسقاط النظام الشيوعيّ في الاتحاد السوفياتي، في نهاية القرن المنصرم.

والكنيسة الكاثوليكيّة، في وجهها الحاليّ، برئاسة البابا يوحنّا بولس الثاني، قد سلكت في تعاطيها المسكونيّ فلسفة جديدة، هي الانفتاح الكونيّ على شعوب الأرض كلّها، مع إلغاء

للامتيازات بين البشر والطوائف. كما ساهمت في تأمين فرص للجميع كي يشاركوا ديموقراطياً في صياغة حياتهم الروحيّة والمدنيّة على حدّ سواء. وقد برزت هذه الناحية في جانب من الارشاد الرسوليّ الخاص بلبنان الذي يقول: "**إنّه من المستحسن أن تزداد المشاركة المنصفة في المسؤوليّات داخل الأمّة، ليتمكّن الجميع من وضع مواهبهم وقدراتهم في خدمة إخوتهم. ويعرفوا أنّ لهم مساهمة متميّزة يقدّمونها إلى بلدهم، عملاً بمبدأ الاستنابة، بإبداعهم وممارستهم ما لهم من روح مبادرة**"[1].

ولأنّ الكنيسة هي مجموعة بشريّة هرميّة منفعلة بتطوّر الأحداث اليوميّة على تنوّعها، فإنّه من الطبيعيّ أن تتشكّل باستمرار عمليّة تفاعل بين الوجهين الروحيّ والمدنيّ، وتدخّل للسلطات الروحيّة في الشؤون المدنيّة للبشر. وتشتدّ هذه التدخّلات كلّما فقدت الجماعة مقوّمات الحياة الأساسيّة التي ركّزت عليها شرعة حقوق الانسان. فتكون الكنيسة قوّة معنويّة مؤثّرة في تدعيم روحيّة هذه الشرعة التي تحفظ الكرامة البشريّة، وتتحوّل إلى مرجعيّة أساسيّة في القضايا المصيريّة.

انطلاقاً من هذا المفهوم العام، نطرح السؤال التالي: ما هو موقع الكنيسة المارونيّة في هذه المعادلة؟

إنّ هذه الاعتبارات تشكّل التزاماً ثابتاً في الكنيسة المارونيّة الشرقيّة التكوين، جغرافيّاً ومدنيّاً وسياسيّاً، الغربيّة الانتماء روحيّاً. وهذا الالتزام لم يكن يوماً نتيجة ظروف آنيّة، بل هو نتاج كينونة تاريخيّة لجماعة دينيّة عاشت منذ مئات السنين على هذه الأرض، في ظروف لم يتوقّف فيها التحدّي المتعدّد المصادر والاتجاهات: ضيق الرقعة الجغرافيّة المعرضة دائماً لتجاذبات سياسيّة إقليميّة ودوليّة - تعدّد الطوائف والمذاهب - كفاح الأقليّات لتثبيت وجودهم وكيانهم - صراع الطبقات والنفوذ - الضيق الاقتصاديّ الذي غذّى نزعة الهجرة وساهم في التقلّص. ومن الطبيعيّ أن تشكّل هذه الاعتبارات مجتمعة تقارباً جذريّاً بين سلطتين: سلطة مدنيّة سياسيّة، وأخرى دينيّة. فالقدّيس مارون لم يؤسّس سلطة سياسيّة، ولم يكن للموارنة معه سوى العقيدة الايمانيّة التي استمرّت موالية لسلطة روما، ولكنّ التأسيس السياسيّ للكيان المارونيّ جاء نتيجة ولاء الجماعة للهرم البطريركيّ وللبطاركة الموارنة الذين قاموا بأدوار تاريخيّة

---

١ - الارشاد الرسوليّ - ص. ١٥٤

أساسيّة في وجود الكيان السياسيّ لهذا الشعب منذ يوحنّا مارون[٢]. وقد شكّلت الأحداث التاريخيّة محطّات رائدة لدور البطريركيّة المارونيّة في تظهير الهويّة السياسيّة للكنيسة وللموارنة[٣] قبل أن يتحدّد الكيان الوطنيّ لدولة لبنان الكبير الذي نعرفه اليوم، وتحديداً الدور التاريخيّ الذي قام به البطريرك الياس الحويّك[٤] والأساقفة في مؤتمرات الصلح في باريس التي عقدت لتقرير مصير الشعوب التي كانت خاضعة للنفوذ العثمانيّ.

لقد ساهمت الكنيسة المارونيّة من خلال هذه الأحداث التاريخيّة المفصليّة في التحضير لقيام دولة تنتظر مرحلة زمنيّة تمهيديّة وموقّتة لكي يتحقّق كيانها الاستقلاليّ الناجز. فكانت حقبة الانتداب اختباراً لقابليّة الشعب اللبنانيّ والأحزاب الفئويّة التي أنتجها لكي تتمكّن من بناء أسس مبدئيّة لصورة الدولة الجامعة كلّ التناقضات الراسخة في المجتمع اللبنانيّ. ومع تطوّر الأحداث المحليّة والاقليميّة تأكّدت النزعة الاستقلاليّة عند جميع الفئات، حتّى أولئك الذين صُنّفوا في خانة الموالاة للسلطة المنتدبة، وبالتحديد هم أبناء الكنيسة المارونيّة[٥].

إنّ حتمية تاريخيّة نتجت عن هذه النزعة الاستقلاليّة قضت بتظهير نظام سياسيّ عرفيّ، جُعل له عنوانٌ أساسيّ "الميثاق الوطنيّ". لقد كان الميثاق تطبيقاً لنظريّة فنّ الممكن في تلك الحقبة

٢- يقول فيليب حتّي في كتابه تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين: إنّ مارون الناسك كان الزعيم الأوّل، وإنّ يوحنّا مارون الذي توفي عام ٧٠٧ كان بطل الأمّة الجديدة - المسيحيّة والمسيحيّون العرب وأصول الموارنة - فرج الله صالح ديب - دار نوفل - بيروت ١٩٩٥ - ص. ٦٦

٣- يظهر الصرح البطريركي، أيّاً يكن الجالس على كرسيّه، كقائد ومنقذ لرعيّته وللشعب اللبنانيّ بأسره».. هذا ما حصل بالضبط مع الحويّك سنة ١٩١٩ لإعلان لبنان الكبير، ومع البطريرك عريضة لإنهاء الانتداب الافرنسيّ، ومع البطريرك المعوشيّ لرفض الدويلة داخل الدولة والبطريرك صفير لتأمين الغطاء المسيحيّ لوثيقة الوفاق الوطنيّ بغية وقف الاقتتال والتدمير. وهذا ما حصل تماماً مع أسلاف الحويّك... - اليوبيل الذهبيّ لاستقلال لبنان - منشورات الجامعة اللبنانيّة - قسم الدراسات التاريخيّة (٤١) بيروت ١٩٦٦ ص. ١٩٤

٤- وصف شكيب إرسلان البطريرك الحويّك: "القائد رأس الحربة الذي أخذ بين يديه المستقبل السياسيّ لشعبه" اليوبيل الذهبيّ لاستقلال لبنان - المرجع السابق - ص. ١٩٢

٥- يراجع في هذا الموضوع موقف الكتلة الوطنيّة في سوريا وتنسيقها مع البطريركيّة المارونيّة بشخص البطرك عريضة لتحقيق الاستقلال عن الفرنسيين - اليوبيل الذهبيّ لاستقلال لبنان - المرجع السابق - ص. ٦١٢

من تاريخ هذه المنطقة ومن تكوينها التعدّدي غير المتكافئ ديموغرافياً. والتاريخ يتعامل، في المبدأ، مع الممكن بحذر وديناميكيّة فاعلة تجعله في حالة من التطوّر المستمرّ مع مستلزمات المراحل الزمنيّة والتغيّرات السائرة مع الصيرورة الطبيعيّة للتطوّر، ومع نتائجها التي تتحكّم بمصير الأوطان والشعوب. لذلك، فإنّ الممكن يصبح آليّة تغيّر وتجديد، تنشّط الحياة الوطنيّة والسياسيّة معاً، وتضرم روح المسؤوليّة الوطنيّة في نفوس الشعوب مهما كانت انتماءاتهم، وهو بالتالي ليس معادلة سياسيّة جامدة تقضي على الانجازات الوطنيّة الصغيرة والكبيرة.

والميثاق الوطنيّ، كما بدا لأصحابه، كان فنّ الممكن في تلك المرحلة الحرجة من تاريخ لبنان، وقد تمكّن الميثاق من تحقيق الغاية التي تمّ التوافق حولها، وهي إنجاز الاستحقاق الوطنيّ الكبير، أي الاستقلال، وإعطاء شكل للدولة الجديدة[٦]. ولعلّ العناصر الخفيّة التي تكمن وراء صناعة التاريخ لا تتوفّر دائماً في متناول المؤرّخين والبحّاثة لكي يستشفّوا منها الحقيقة الموضوعيّة الكامنة وراء الممكن، أو يستخلصوا منها العبر الحقيقية للمستقبل؛ أو إنّ تلك العناصر تبقى أحلاماً في ضمائر الذين ماتوا فيملكها العدم قبل أن يراها النور. كذلك فإنّ المثاليّات قلّما تؤثّر هي أيضاً في تكوين الأوطان الحقيقيّة لأنّها تصوّرات نخبويّة لا تتّصل بواقع الحياة اليوميّة للشعوب، ولا تتواصل معهم، ولا تنتمي إلى وجدانهم الذي تغلب عليه الانفعالات والمشاعر الملتهبة الحادّة البعيدة عن الاعتدال. وهكذا تتحكّم اندفاعات الناس وانفعالاتهم بإرادة القادة فتجعلهم أسرى تصوّراتهم وطروحاتهم، وتحجب، بين رؤيتهم الصحيحة إلى الحقيقة والواقع المتحكّم. ولعلّ الجمود الذي أصاب الميثاق قد حوّله من آليّة ديناميكيّة تتجدّد مع تطوّر الحياة وتبدّل الظروف ومراعاة الوقائع ومستلزماتها إلى إطار قدسيّ شبه منزل، خصوصاً في القضايا المصيريّة، كما جعله سبباً أساسيّاً للريب والحذر والشكوك والاتهامات والصراع الداميّ والاقتتال المدمّر. هذا الميثاق الرجاء الذي لم يحقق للوطن الصغير مشروع الوطن الحقيقيّ ما هي مشكلته؟

لقد استمدّت من روحيّة هذا الميثاق الذي لم يدوّن رسمياً، التشريعات الأساسيّة لقيام دولة مستقلّة بالتراضي بين فئات المجتمع اللبنانيّ المختلفة والمتنوّعة، وقد كرّس هذا التراضي

٦- يقول باسم الجسر: "وقد تكون استحالة تحقيق الأهداف العروبيّة بضمّ لبنان إلى سوريا أو على الأقلّ سلخ الأقضية الأربعة عنه وإلحاقها بسوريا، هي التي دفعت بالعروبيين إلى لقاء القوميين اللبنانيين في مواجهة السياسة الفرنسيّة التي نكست بوعودها في تحقيق الاستقلال التام - ميثاق ١٩٤٣، ص. ٩٣

نموذجاً سياسيّاً متميّزاً عن سائر الأنظمة السياسيّة المعروفة في العالم. فالميثاق إذاً هو عقد اتفاق رضائيّ بين متكافئين يؤدّي إلى تعادل في الحقوق والواجبات، وهذا ما يميّزه عن عقود سياسيّة أخرى، تؤسّس عليها التشريعات والأنظمة، وتختلف فيها حصص المتعاقدين باختلاف قوّتهم. إنّه من هذه الناحية إلغاء للديموقراطيّة العدديّة وتكريس لديموقراطيّة متعادلة ثابتة لا يمكن الخلل فيها، قائمة على توازن بين جماعتين رئيسيّتين من دون حساب للعدد، هي ديموقراطيّة الحصّة، حتى إذا حدث الخلل في هذا المفهوم وهذه المعادلة وقع الصراع بين الفئتين. لذلك، فإنّ الميثاق هو قوّة روحيّة معنويّة تتحوّل إلى مضمون عمليّ وقانونيّ عندما تنتج عنها سلطة قادرة على تجسيد هذه الروحيّة في نظام يحمي جميع الأطراف، أقليّة كانوا أم أكثريّة. ومن الناحية التطبيقيّة فقد أدّى الميثاق إلى إخراج التشريعات التي أسّست لقيام الدولة اللبنانيّة[٧] ولنموّها وتطوّرها، ولكنّه في الوقت نفسه شكّل السبب في تردّد هذه الدولة وضعفها وزوالها. وبالتالي، فإنّ الضعف في الميثاق هو كونه يعرض الوطن كلّه للخطر وليس الدولة فحسب، في حال وقوع الخلل فيه. وإذا كانت هذه هي الحالة، فكيف يمكن أن نفسّر هذا التناقض بين الميثاق والوطنيّة؟

إنّ الميثاق اللبنانيّ قام باتفاق بين قوّتين متعادلتين تمثّلتا بشخصي رئيس جمهوريّة مسيحيّ مارونيّ ورئيس وزراء مسلم سنّي[٨]. ورغم طابع الفرديّة في الاتفاق والصعوبات التي واجهتهما من قبل المجموعتين اللتين ينتميان إليهما، أو الفئات الأخرى التي تواليهما[٩]، فقد أخذ الميثاق

٧- يقول جوزف شادر محدّداً الميثاق من وجهة قيام الدولة: "فالميثاق الواجب للوحدة ولإنصاف اللبنانيين قد تجلّى بتراض على صعيد عدد النوّاب المسيحيين والمسلمين وصعيد الرئاسات الثلاث، وصعيد عدد الوزراء المحمّديين والمسيحيين في كلّ حكومة. ويفترض الميثاق من جهة ثانية، قيام وضع تعايش بين الفئتين الطائفيتين يقوم على التفاهم المتبادل والتساهل وروح المحبّة والمسامحة المتبادلتين" ١٩٦١، ص. ٥

٨- الميثاق الوطنيّ هو دستور غير مكتوب. إنّه عهد شرف بين الفريقين اللذين يتألّف منهما شعب لبنان: الفريق المسيحيّ والفريق المسلم. والذي أوحى بالميثاق الوطنيّ هو الشعب اللبنانيّ بأسره، ولكنّ جسّده ورمز إليه رجلان هما: بشارة الخوري المسيحيّ المارونيّ، ورياض الصلح المسلم السنيّ. - يوسف سالم ٥٠ سنة مع الناس - دار النهار للنشر ١٩٧٥ - ص. ١٥٤

٩- يقول جوزف شادر في مجلّة أكسيون ١٩٥٥ ص. ٤٩٢: "إنّ أوّل بحث في الميثاق تم في اللقاءات بين الجميّل ورياض الصلح عام ١٩٣٧. كانت المناقشات تدور حول الصيغة التي تجمع اللبنانيين

طريقه إلى أن يكون نظاماً لدولة. غير أنّ المشكلة الأساسيّة في هذا الميثاق ظلّت تكمن في عدم جعل القوانين التي نتجت عنه أساساً لديموقراطيّة سليمة تساوي بين الفئات المتنوّعة وتعطيهم حقوقهم، وبالعكس فإنّه ظل استمراراً لتكريس فرديّة السلطة النابعة من قوّة الشخص وقدرته على مواجهة الشريك في الحكم. وهكذا، فبدلاً من أن يكون الميثاق قوّة روحيّة حتميّة لاستمرار بقاء الدولة، منصهرة في نفوس الجماعات بكاملها، وينتقل بالتالي من العرف الأثريّ والتراثيّ، إلى النصوص ذات المضمون والفعل على المستوى التطبيقيّ، بقي عرضة لتجاذبات بين الطرفين الفرديين الحاكمين والمتحكّمين بالسلطة. وفي الواقع العمليّ، فإنّ هذين الطرفين القطبين بدورهما يخضعان لتغيّرات ظرفيّة تراعي المصالح الفرديّة أكثر ممّا تراعي مصالح الدولة والانسان فيها.

إنّ الاستمرار في اعتبار قوّة الفرد الضمان الأساسيّ لقوّة الجماعة تركت روحيّة الميثاق عرضة لمزاجيّة صاحب السلطة، ولشخصانيّته، ولقوّته الفعليّة في التمثيل الفئويّ، وفي إحداث التوازن بين المتناقضات والتغييرات الطارئة على هيكليّة الدولة، وتطوّرات الأحداث الخارجيّة وصراعات المصالح الدوليّة[١٠]. هذا الخلل كان من الممكن أن تتفاداه روحيّة الميثاق لو تحقّقت بالفعل الديموقراطيّة الشاملة على المستوى العام من خلال قيام الدولة العادلة التي ضمنت روحيّة الميثاق وشرّعت الأنظمة المحصّنة له، وحقّقت المساواة للجميع، ولم تسمح

وتعيد الثقة فيما بينهم. وبعد المناقشات حول دوافع رفض المسلمين للوطن اللبنانيّ، وأسباب الحذر عند المسيحيين، تمّ الاتفاق على أن تستمرّ الكتائب في محاربة الانتداب وفكرة الوطن المسيحيّ، وأن يكمل رياض الصّلح حملته التبشيريّة في أوساطه بالوطن اللبنانيّ المستقلّ عن الشرق والغرب معاً – تاريخ الكتائب، الجزء الثاني، ص. ٩٦

١٠ – يرى الرئيس بشارة الخوري أنّ الميثاق "هو العهد الذي قطعته الحكومة على نفسها وارتضاه اللبنانيّون ثقة منهم بأنفسهم ومصايرهم، وإيماناً بأنّ سياسة التفرقة والجفاء كانت ولا تزال أساس كلّ علّة" – حقائق لبنانيّة، الجزء الثاني ص. ٢٩٠، منشورات أوراق لبنانيّة، بيروت. ويرى سامي الصلح أنّ الميثاق: "ينصّ على الاحترام المتبادل بين الفريقين اللذين يعترفان بلبنان ذي الوجه العربيّ، كوطن لهما بحدوده الحاضرة، ويلتزمان بحماية استقلاله، ومصالحه أوليّة وحرياته الأساسيّة" – مذكّرات سامي الصلح، الجزء الأول، ص. ٧٤. ويرى كمال جنبلاط في الميثاق كذبة كبيرة فيقول: "فالناس تتكاذب في هذا البلد حتى بصدد ميثاق ١٩٤٣ الوطنيّ واستقلال لبنان. كانت هناك كذبة أساسيّة، فكان لا بد للعنف من الحلول" كمال جنبلاط، هذه وصيّتي، الطبعة الأولى ١٩٧٨، ص. ٦٥

باستمرار شريعة التشرذم الطائفيّ والاجتماعيّ والاقتصاديّ والثقافيّ. وهكذا ظهرت الدولة عاجزة عن الحلول محلّ سلطة الفرد السياسيّة، فاكتسب الأفراد على اختلاف مواقعهم وقواهم نفوذاً فاق نفوذ الدولة نفسها. فكان التطاول على الأنظمة والقوانين سنّة المستقوين عشائرياً ومالياً وخارجياً حتى فقد المواطن الأصيل ثقته بالدولة والقانون الذي يطبّق عشوائياً، وجعلته هذه الفوضى يخسر حقّه في العدالة والمساواة ويلجأ إلى ذاتيّته، وفئويّته الاجتماعيّة والطائفيّة، ويرسّخ انتماءه المتقوقع الضيّق على حساب انتمائه الوطنيّ. هكذا ظهرت الدولة اللبنانيّة عنصر تدمير للانتماء الوطنيّ، وتفشيل لروحيّة الميثاق بدلاً من أن تكون عنصر صهر للفئات والمجموعات، وقوّة ضامنة لتحقيق معادلة المؤسّسات التي تؤمّن العدالة وحقوق الشعوب. وليست خيارات التفكّك التي راودت توجّهات بعض اللبنانيين إلاّ نتيجة انعدام الثقة بالدولة القويّة الحامية الضامنة.

هذه الفوضى في الفكر اللبنانيّ وفي الممارسة الشعبيّة لمفهوم المواطنيّة كان لها الأثر الكبير في تغذية الحرب المدمّرة التي قضت على صورة لبنان الدولة الميثاقيّة، أي قضت على الشكل التوافقيّ الظاهريّ، لتثبت حقيقة مؤلمة وهي أنّ بذور الصراع ظلّت تنمو في الخفاء لتظهر من حين لآخر تبعاً لظروف إقليميّة ودوليّة، تغلّب إحدى المعادلات على حساب الأخرى. ثمّ تمخّضت الصراعات الدامية عن شكل جديد للميثاق هو اتفاق الطائف الذي جاء نوعاً آخر من فنّ الممكن الذي أنتجته الظروف الاستقلاليّة. أمّا الاتفاق الجديد فقد أنتجته الحرب الضاغطة فوجد فيه الكثيرون خلاصاً من مسلسل الدمار، وليس الحلّ الحقيقيّ للمشكلة اللبنانيّة. وقد كان للكنيسة المارونيّة دور أساسيّ في التظهير النهائيّ له. فاستعادت الكنيسة دورها التاريخيّ الذي كان وراء تظهير حدود دولة لبنان المستقلّة ودولة الميثاق الوطنيّ.

لكنّ الالتزام من قبل الكنيسة المارونيّة بالدستور الميثاقيّ الجديد وتأييدها له لم ينه المشكلة التي ظهرت في الميثاقيّة الأولى، بل ظهرت مشكلات أكثر خطورة من السابق.

في الحقيقة، لقد وُضع اتفاق الطائف لينهي حالة شاذّة، ولم يأت ليكرّس وفاقاً على وضع صحيح ومستمرّ، ممّا جعل معادلة التوافق الطائفيّ تسمرّ الهاجس المخيف في صدق المضمون الروحيّ للولاء الوطنيّ، وتقلق الحذرين، إذ سرعان ما يتحوّل التنازع السياسيّ على المصالح الفرديّة إلى تنازع طائفيّ يحمي تلك المصالح، فيلجأ المتحكّمون بالسلطة إلى التحريض الطائفيّ الذي يهدّد الصيغة التوافقيّة الجديدة التي عدّلت شكلاً من باب توزيع الحصص على

الفئات اللبنانيّة. والمقصود بذلك إعطاء دور تشريعيّ أكبر للمسلمين الشيعة، ودور سلطويّ أكبر للمسلمين السنّة، ودور رضائيّ أكبر للدروز - وقد ظهر هذا الدور الأخير من خلال الخلل في تطبيق قانون الانتخاب والاستثناءات التي فرضها الزعيم الدرزيّ على الجبل، بينما اجتاحت لوائح السلطة الأقليّات المسيحيّة في الجنوب والشمال والبقاع - إذا كلّ هذه الأدوار جاءت لتقلّص الدور المسيحيّ في السلطة، وبالتحديد دور الموارنة، الذي سبق أن كرّسه الميثاق الأوّل. وكأنّ ميثاق الطائف قد ألغى شرعيّة السلطات بالمفهوم الدستوريّ المعروف في جميع الأنظمة السياسيّة، وفي الوقت نفسه ثبّت شرعيّة المبهم، أو شرّع الفوضى السياسيّة وفتح المجال واسعاً أمام الاجتهادات المزاجيّة التي تسمح لكلّ فئة بتفسير يتوافق مع مصالحها على حساب مصلحة الوطن. بل، إنّ الأسوأ من ذلك كلّه أنّه كرّس الشخصانيّة السلطويّة التي يمارسها كلّ من رئيس الجمهوريّة ورئيس مجلس النوّاب ورئيس الوزراء، فراح كلّ واحد يحاول أن يثبت قوّته الذاتيّة في موقع التجاذب السياسيّ والسلطويّ والمصلحيّ والمزاجيّ الذي لا يضبطه دستور مكتوب وواضح.

ففي مقدّمة وثيقة الطائف نجد في الفقرة (ي) البند التالي: "**لا شرعيّة لأيّ سلطة تناقض ميثاق العيش المشترك**"[11] فهذا الحسم اللغويّ: لا شرعيّة لأيّ سلطة، مقابل الميوعة المطلقة في تحديد معنى: ميثاق العيش المشترك، يترك **تساؤلات** خطيرة ومبهمة في ثلاثة أمور: أوّلاً في الأساس، وثانياً في التطبيق، وثالث في المعنى.

أوّلاً: في الأساس

ففي الأساس هناك تناقض فاضح في منطق الأمور، فكيف يكون للشيء غير الماديّ والموضوعيّ سلطة نقض مبرمة على الشيء الماديّ الوضعيّ؟ أي كيف يكون للمبهم والغامض سلطة مطلقة على الواضح والصريح؟ فعندما تسمّي الوثيقة الدستوريّة كلمة: "سلطة" تؤكّد حكماً سلطة الشعب كما ورد في الفقرة (د) من مقدّمة الوثيقة القائلة: "الشعب مصدر السلطات وصاحب السيادة يمارسها عبر المؤسّسات الدستوريّة"[12]، والمؤسّسات الدستوريّة هي السلطات التشريعيّة والتنفيذيّة والقضائيّة التي تشكّل أساس بناء الدولة التي لها شكلها

١١- بموجب القانون الدستوريّ رقم ١٨ الصادر في ١٩٩٠/٩/٢١

١٢- المرجع السابق نفسه

الدستوريّ والقانونيّ الوضعيّ، وتوصيفها محدّد في الأنظمة. بينما عندما تذكر الوثيقة تعبير "العيش المشترك فإنّ هذا التعبير لا توصيف محدّداً له في النصوص، وهو بالتالي غير ماديّ ولا وضعيّ. أي إنّه اتفاق روحيّ وجدانيّ مثاليّ. وعلى الرغم من أفضليّة الروحيّ على الماديّ في القضيّة الوطنيّة، يبقى هذا الاطلاق غامضاً وقابلاً للتجاذبات، لأنّ الاطلاق لا يصحّ إلاّ في ذات واحدة منزّهة عن الانسان والعالم. وفي هذه الحال لا يمكننا اعتبار الميثاق كتاباً سماوياً منزلاً، حتى إذا تمّ الخروج على الدستور في الممارسة العمليّة للحكم، غلب على تلك الحالة المنحى السياسيّ الذي يتسامح معه البعض أو يجيزه. أمّا إذا تمّ الخروج على الميثاق، أي الطوائف ومصالحها، فالاعتبارات تتّخذ المنحى الوطنيّ، وتقوم قيامة فئة على أخرى باسم خرق ميثاق العيش المشترك الذي لا تسامح فيه، وتتهدّد الصيغة التوافقيّة من أساسها، ويتكرّس وطن الطوائف، ويغرب عن الوجود وطن المؤسّسات والحريّات والديموقراطيّة.

ثانياً: في التطبيق

أمّا من حيث التطبيق فإنّ المؤسّسات الدستوريّة لم تحدّد تحديداً صريحاً وماديّاً ووضعياً معنى ميثاق العيش المشترك، أي إنّ توصيفه يبقى عرضة لتجاذبات تتنازعها الهيئات الشرعيّة والمدنيّة، العامّة والخاصة. إذاً فالكلمة الفصل لمن؟ هل هي لمجلس النوّاب؟ هي هي لمجلس الوزراء؟ هل هي سلطة الطوائف؟ هل هم الجماعة؟ وما هي هويّة هذه الجماعة؟ هل هي أحزاب؟ وما شكل هذه الأحزاب وطروحاتها؟ هل هي علمانيّة نخبويّة أم هي المساحة الكبيرة من القاعدة الشعبيّة؟ أم هناك أفراد مختارون متميّزون عن سائر عامة الناس، يملكون سلطة زمنيّة أو روحيّة خارقة يقدرون بواسطتها على التقرير الكامل عن شعوبهم، كما تمّ في ميثاق ١٩٤٣؟ وإذا صحّت هذه الفرضيّة، فمن هم هؤلاء الأفراد الدائمون الحاضرون الذين يأتون على رأس كلّ زمن لكي صنعوا التاريخ أو يشكّلوا ضمانة لما جرى تحت تأثيرات متنوّعة ظرفيّة، أو يفسروا للناس ما غرب عن بالهم، وما لم يصرح عنه دستورهم الزمنيّ؟

ثالثاً: في المعنى

أمّا من حيث المعنى، فماذا يقصد بالعيش المشترك؟ هل يعني تأمين مصالح الشعب بكامله بالمساواة والعدل، بكلّ فئاته ومذاهبه وانتماءاته ومعتقداته، وتحقيق طموحاته بقيام دولة عصريّة تتساوى فيها حقوق الجميع دون استثناء في التنظير والتطبيق؟ أم يعني تأمين مصالح الطوائف

التي بنت الميثاق الأساسيّ للبنان على توافقها، حتى إذا شعر زعماؤها بانتقاص في نفوذهم، حركوها باسم الحقوق المنقوصة للطائفة وأشعلوا المشاعر والانفعالات، وألهبوا النفوس والغرائز، وحوّروا مضمون الوطنيّة بما يعيد إليهم كراماتهم وسلطاتهم ومصالحهم؟ وهل عند ذلك تكون التوافقيّة مؤمنة فعلاً؟ وما هي حدودها يا ترى؟

أسئلة كثيرة لا تنتهي أضافها ميثاق الطائف على الأسئلة الكثيرة التي ولّدها العجز في تحقيق الميثاق الوطنيّ الأوّل تحقيقاً سليماً وتحويله إلى نظام لدولة عصريّة ديموقراطيّة. إنّ هذه الأسئلة تزيد الغموض والتناقض وتؤسّس لاجتهادات ظرفيّة يطلقها كلّ من يرغب في تسخير الميثاق والدستور لتحقيق مآربه وسياساته، فتزداد بالتالي البلبلة على المستوى الوطنيّ، وترتسم مشاريع النزاع المستمرّ في مستقبل هذا الشعب الذي أرهقته التناقضات. وهذا هو السبب في التجاذب حول الصلاحيّات، وفي مصادر القرار، وفي قوّة الحكم والسلطة، وفي إحساس ظرفيّ، عند فئات، بأنّها مغبونة محبطة، وأخرى محرومة، وأخرى سيّدة حاكمة. حتى كأنّ مقولات التسلّط والغبن والاحباط والحرمان عناوين متداولة ومتنقلة بين الطوائف، تصاب بها بحسب الظروف التي تساهم في قوة فريق على آخر، فتكرّس بالتالي الخطيئة المميتة بحقّ الوطن، وهي غلبة فريق على آخر بتحكّم طائفيّ متخلّف، وليس بإرادة ديموقراطيّة راقية. بل لعلّ في كلّ ذلك واحداً من الأسباب الأساسيّة الكامنة وراء النزف السكّانيّ الكبير الذي يتعاظم يوماً بعد يوم من خلال هجرة الشباب والقادرين، إلى بقاع الأرض كلّها، بحثاً عن الحياة الكريمة والاستقرار والأمان.

في خضمّ هذه الحقائق، كيف أرى **دور الكنيسة المارونيّة؟**

إنّ دور الكنيسة المارونيّة اليوم ليس إلاّ مظهراً من مظاهر الحقيقة التاريخيّة التي كرّست نهجاً حضاريّاً أتبعته هذه الكنيسة من خلال وجودها في هذه المنطقة من العالم وانتمائها إلى هذه الأرض. غير أنّ هذا الدور يشهد حالات من عدم الثبات والاستقرار، أو القوّة والتراجع، وكثيراً ما يعود هذا التبلبل إلى كلّ من شخصيّتي رأس الكنيسة المارونيّة، ورأس السلطة السياسيّة الذي جعله الميثاق الوطنيّ مارونيّاً تابعاً من الوجهة الروحيّة إلى سلطة البطريركيّة المارونيّة. وفي الغالب أنّ التأثير الشعبيّ الضاغط في مجتمعنا، يستمدّ قوّته من السلطة الدينيّة وليس من السلطة السياسيّة، ممّا يحتّم على رئيس الجمهوريّة مراعاة هذه الحقيقة لكي يؤمن استقراراً سياسيّاً في فترة حكمه.

على الرغم من جميع هذه المعطيات التي ذكرتها، وهي مختصرة جداً، فإنّ موضوع التداخل بين الكنيسة المارونيّة والسياسة الوطنيّة موضوع تساؤل، يشتدّ ويضعف بحسب الظروف المصيريّة الوطنيّة، أو الظروف السياسيّة المحدودة، أو الظروف الآنيّة الصغيرة التي تهمّ فئة قليلة من المواطنين. إنّ الارشاد الرسوليّ الذي أصبح شرعة تنظيميّة في حياة الكنيسة المارونيّة الجديدة، قد حدّد العلاقة بين الكنيسة والدولة على الشكل التالي: "**إنّ الكنيسة بحكم مهمّتها وصلاحيّاتها، لا يمكن الدمج بينها وبين الجماعة السياسيّة بأيّ حال من الأحوال، ولا ترتبط بأيّ نظام سياسيّ، وهي في آن واحد علامة سموّ الشخص البشريّ وحصانته**"[١٣]. إنّ هذا الكلام واضح وصريح وحاسم، ويعني أنّ الكنيسة لا هويّة سياسيّة لها، بل هي رمز للسموّ البشريّ البعيد عن المصالح الزمنيّة. ولكي لا نقع هنا في الالتباس بين الدور التاريخيّ للكنيسة المارونيّة وما أوصى به الارشاد الرسوليّ، أرى أنّ نفهم جيّداً موضوع العلاقة من المنطلق التالي: إنّ مبرّرات التدخّل ناتجة عن الخلل القائم في ممارسات السلطة السياسيّة التي عجزت عن تحقيق القانون الذي يؤمّن العدالة للجميع ويعطي الحقّ بالتساوي في الحقوق والواجبات. أي إنّه الحقّ نفسه الذي تطبّقه الكنيسة الكاثوليكيّة المسكونيّة عندما تتدخّل في الشؤون السياسيّة الكونيّة ساعية إلى تحقيق شرعة حقوق الانسان التي وضعتها أنظمة سياسيّة مستلهمة روح الأديان السماويّة والحقوق الطبيعيّة للبشر. يعني ذلك أنّ تدخّل السلطة الروحيّة يأتي نتيجة الخلل عندما لا تتحقّق العدالة؛ فالكنيسة هنا، تعمل لإحقاق الحقّ والكشف عن الأخطاء التي ترتكبها السلطة السياسيّة. إنّها تلعب دور الضمير الموحي والملهم والمنبّه والمحذّر والموبّخ والمؤنّب. والضمير مصدر الخير والفضيلة والصلاح، ومن الطبيعيّ أن يلجأ الناس إليه عندما يشعرون بالظلم. أمّا إذا تأمّنت العدالة في تطبيق النظام العام، فإنّ دور الضمير يصبح أكثر خفاء، ولا يبرز كمنبّه علنيّ، بل يتحرّك في الظلّ مراقباً دورة الحياة العمليّة. إنّ دور الكنيسة هو الحفاظ على الانسان وتأكيد احترام حقوقه لكي يساهم في دوره الزمنيّ بجانب دوره الروحيّ. فالكنيسة هنا تعمل لتأمين الديموقراطيّة ممارسة لا كلاماً فحسب، وتحاول أن تحدّد مواصفات هذه الممارسة بالتنبيه الدائم، لا بفرض تقنيّات سياسيّة واقتصاديّة، مع أنّها تحتفظ لنفسها بالرؤيا، أو بطرح تلك الرؤيا طرحاً إرشادياً لا يبلغ حدّ الالزام، ذلك لأنّ الكنيسة

---

١٣ – الارشاد الرسوليّ – ص. ١٧٥

ليست قوّة سياسيّة في لعبة الأنظمة، بل هي الضمير المحفّز لتأدية الواجب المدنيّ والسياسيّ إضافة إلى الجانب الروحيّ.

ماذا نريد من كنيستنا المارونيّة اليوم؟

قبل أن ننطلق إلى المشكلات التي تعانيها الدولة ويتحمّل أعباءها المواطنون، لا بدّ من التذكير بأنّ مفهوم الكنيسة، كما ورد في الارشاد الرسوليّ، يعني "**الوحدة العضويّة بين أبنائها جميعاً، بدءاً برأس الهرم حتى أيّ مواطن عاديّ، فكنيسة الأرض والكنيسة الغنيّة بنعم السماء يجب ألاّ تُعدّا حقيقتين، بل حقيقة واحدة مركّبة، ذات عنصرين بشريّ وإلهيّ**"[١٤]. وكما أوضحت، فإنّ هذه الوحدة لا تعني أنّ الكنيسة الروحيّة تكتسب الهويّة السياسيّة، ولكنّها تساعد على حلّ المشكلات التي تواجهها الكنيسة الأرضيّة والمقصود بها المجتمع المدنيّ والسياسيّ.

إنّ المشكلات التي يعانيها الوطن كثيرة جدّاً، وعلى جميع المستويات الروحيّة والسياسيّة والاقتصاديّة والاداريّة والتربويّة والأخلاقيّة. والمواطن المارونيّ تقلقه مشاغل متنوّعة، منها:

١- إحساس المواطن المارونيّ أنّ مارونيّته ليست ترفاً، بل هي معاناة. إنّها معاناة تاريخيّة مستمرّة.

٢- علاقته المباشرة بالكنيسة والمسؤولين عنها.

٣- علاقة الآباء بالأبناء والمشكلات العائليّة.

٤- المشكلات التعليميّة والتربويّة والحاجات الماديّة الملحّة.

٥- الشباب أمام تحدّيات العصر الماديّة ومغريات الحضارة.

٦- الفساد العام.

٧- المثقّفون ومشاركتهم في القضايا العامّة.

٨- القضايا السياسيّة والحريّات العامّة والديموقراطيّة.

١٤- الارشاد الرسوليّ - ص. ٢٩

٩- هجرة الشباب المسيحيّ.

١٠- ولعلّ المشكلة الرئيسة تبقى في مجال تحديد مفهوم الانتماء الوطنيّ لدى الشباب، تحديداً واضحاً ونهائياً، بعيداً عن المراوغة والباطنيّة والتردّد.

إنّ مؤتمرنا هذا يسعى لأن يضع تصوّرات ينطلق منها إلى تحديد دور الكنيسة المارونيّة الارشاديّ الذي يحدّ من تفاقم هذه المشكلات ومن آثارها السلبيّة على الرعيّة. ويحدّد رؤى ومنطلقات لدور أوسع تقوم به الكنيسة انطلاقاً من الواقع، ومن استلهامنا روحيّة الارشاد الرسوليّ.

يعتبر الارشاد لبنان رسالة. إذاً، من هنا يبدأ مفهوم التزام الكنيسة المارونيّة السياسيّ الذي يطرح الأدوار التالية:

١- تكريس دور الكنيسة في الارشاد السياسيّ، أي المراقبة والتنبيه والتحذير والتأنيب، وتحديد الأخطاء، وإظهار السيّئات والعيوب والايضاح، لكي تكون الرعية على وعي بما يحيط بها. فالوصايا الكنسيّة لا تنهى وتأمر فقط، بل تبيّن الرذيلة وسلبيّاتها لكي تجعل الناس يتفادونها.

٢- تثبيت الروحيّة الميثاقيّة التي انطلقت من ميثاق ١٩٤٣ وتكرّست في اتفاق الطائف، على أنّ تتحوّل هذه الروحيّة من الممارسة الشخصانيّة لرؤوس السلطة إلى روحيّة جماعيّة شعبيّة منصهرة في رؤية وطنيّة واحدة.

٣- تبنّي صياغة سليمة لمفهوم اتفاق الطائف من منطلق وطنيّ، بعدما زالت تأثيرات الظروف الضاغطة التي أنتجت هذا الدستور.

٤- تكوين مواطنيّة تاريخيّة، تسعى إلى التوفيق بين معادلتين: معادلة الميثاقيّة الطائفيّة ومعادلة العلمانيّة التي تطبّق تشريعات الدول الديموقراطيّة - على أن تتولى هذه الكتلة عمليّة التوفيق بين المعادلتين في تطوير النظام اللبنانيّ بعد الطائف، إذ ليس بالضرورة أن تناقض الواحدة الأخرى، عندما تنطلق من قناعات الميثاق إلى تحقيق الديموقراطيّة المنبثقة عن روحيّته. وهنا أرى أنّنا بحاجة إلى الانتقال من ميثاقيّة الطائف إلى ديموقراطيّة الطوائف. وليس ذلك شعاراً، بل تصوّر وإمكانيّة تطبيق، يضيق المجال لعرضه في هذا المؤتمر.

٥- الاسراع في تشكيل وحدة الكنيسة المارونيّة الرعويّة التي من خلالها تتحوّل الأفكار من

المضمون التنظيريّ إلى التطبيق العمليّ. وما أراه لتحقيق هذه الوحدة هو إنشاء هيئة كنسيّة أسقفيّة رعويّة مستمرّة، يتمّ تعيينها من قبل البطريركيّة شبيهة بمجلس إداريّ، تعمل على دراسة السبل التطبيقيّة ومتابعة تنفيذ الأعمال، فيكون هنالك أسقف مسؤول عن كلّ نشاط، تتبعه مجموعة من الرهبان والراهبات، وأن يكون لهذه الهيئة اجتماعات دوريّة متواصلة. ثمّ يتبع كلّ هيئة مجموعة من اللجان تتألّف من رهبان وخوارنة وعلمانيين. وهذه اللجان تشكّل عنصر الاتصال المباشر بالرعيّة، وتنقل إلى الهيئة الأسقفيّة تباعاً أبحاثها الميدانيّة ومقترحاتها، وبذلك يتحقّق مفهوم التكامل بين أبناء الكنيسة، فالممارسة الايمانية تصبح أكثر حيويّة ضمن مفهوم التعاون وتبادل الآراء والثقة.

الكنيسة المارونيّة والشأن الاجتماعيّ

د. ماري خوري

الكنيسة المارونيّة والقضيّة الاجتماعيّة

١ – منطلق دور الكنيسة الاجتماعيّ

٢– موقع الكنيسة حضور بجانب المصلوبين

٣– رسالة الكنيسة الاجتماعيّة اليوم

٤ – أهداف محوريّة قابلة للتنفيذ

٥– مشاريع ميدانيّة

٦– التحوّلات الذهنيّة المواكبة للحداثة

٧– المحبّة تؤنسن الحداثة

١– منطلق دور الكنيسة الاجتماعيّ

١ – التماهي بيسوع

٢– تمثّل فقراء المسيح

٣– شرعة المحبّة

٤– إعطاء الطعام في حينه

٥– لتكون لهم الحياة بوفرة

٢– موقع الكنيسة: حضور بجانب المصلوبين

٢-١- أعطوهم أوّلاً ليأكلوا

١ – المعيشة

٢- المسكن

٣- المدرسة

٤- المَشْفى

٥- المعمل

٢-٢- ليس بالخبز وحده يحيا الانسان

١- حاجة إلى الحبّ

٢- حاجة إلى اعتبار الذات

٣- حاجة إلى الاستقلاليّة

٤- حاجة إلى الانتماء

٥- حاجة إلى تحقيق الذات معاً

٣- رسالة الكنيسة الاجتماعيّة اليوم

١-٣- دور معرفيّ: أعرفُ خرافي

١- جمع المعلومات

٢- معرفة الواقع

٣- تحديد الأوّليّات

٤- صياغة الأهداف

٥- رسم استراتجيّة راعويّة

٢-٣- دور عمليّ: السامريّ الصالح

١- المشرعة

٢- المستلزمات

٣- المأسسة

٤- المتابعة والتقويم

٥- التطوير والتصويب

٣-٣- دور إعلاميّ: لينر نوركم الناس

١- شفافية الأداء

٢- تذهين الناس

٣- ممسألة الجميع

٤- الجرأة النبويّة

٥- استنهاض قوى المجتمع الحيّة

٤- أهداف محوريّة قابلة للتنفيذ

١-٤- قضايا اجتماعيّة عامّة

١- حضارة التواصل بسلام

أ) قاعدتها

١- المساواة

٢- المصالحة

٣- التعاطف Empathie

٤- الحريّة

٥- الدمقراطيّة

ب) شروطها

١- الاعتراف بالآخر ≠ الغاء الآخر

٢- تقبل الآخر ≠ نبذ الآخر

٣- تفهّم الآخر ≠ إدانة الآخر

٤- اعتبار الآخر ≠ احتقار الآخر

٥- مشاركة الآخر ≠ استغلال الآخر

ج) هدفها: تحقيق الذات معاً وللجميع Co-réalisation de soi في الكنيسة، في الوطن وفي العالم

٢- ثقافة الالتزام بحريّة:

أ) قاعدتها

١- التأجيب Positiver

٢- التمكين Empowerment

٣- المبادرة Initiative

٤- الادراك Mindfulness

٥- المشاركة Partenariat

ب) شروطها

١- الوثوق بالذات ≠ التردّد

٢- القبول بالمخاطرة ≠ القعود

٣- التصدّي للفشل ≠ الرضوخ

٤- المثابرة ≠ التراجع

٥- المجّانيّة ≠ النفعيّة

ج) غايتها: تخطّي الذات نحو الكمال بحبّ

٢-٤- قضايا اجتماعيّة حصريّة

١- شجون العيلة

أ- النزاعات الزوجيّة

ب- المآسي العيليّة

ج- المآزم التربويّة

٢- شؤون الشبيبة

أ- الجنوح والانحراف

ب- الاضطرابات النفسيّة

ج- المآسي والاحباط

٣- كرامة المرأة

أ- العنف والاغتصاب

ب- الدونيّة والتهميش

ج- الاستغلال والامتهان

٤- مآسي ذوي الحاجات الخاصّة

٥- أوجاع المفردين

أ- المسنّون

ب- البطّالون

ج- المنبوذون

د- المساكين

هـ- المعزولون

و- المنعزلون

٥- مشاريع ميدانيّة: «تعملون عملي وأكثر»

٥-١- اليد الممدودة: «أنتم نور العالم»

إنشاء وتعميم مكاتب إصغاء وتوجيه ومساندة متخصّصة

١) في الجامعة: نفس علاج

٢) في المدرسة: تربية وتوجيه

٣) في المستشفى: مرافقة نفس روحيّة

٥-٢- فرح العيلة: «صالح أخاك»

إنشاء أجهزة إصغاء ومواكبة وعلاج للعيلة

١) في الأبرشيّة

٢) في المحكمة الدينيّة

٥-٣- القلب المفتوح: «أريد رحمة»

إيجاد مراكز رعاية وحماية ومتابعة متخصّصة، في الأبرشّة وفي البلديّة، لاستقبال:

١) القاصرين المغتصبين

٢) المعنّفين في العيلة

٣) البائسين المحبطين

٤) المنحرفين التّائهين

٥) اليائسين المرشّحين للانتحار

٦) الأمّهات العازبات

٧) ثقيلي الأحمال...

٤-٥- العين البصيرة: «كم عندكم؟»

تكليف الجامعات المسيحيّة بالتنسيق بين مراكز أبحاثها، من أجل الجهوزيّة المعرفيّة حول موضوعات معيّنة:

١) جمع المعلومات

٢) تحليل البيانات

٣) رصد التحوّلات وتقويمها

٤) إجراء أبحاث واستقصاءات

٥) رفع تقارير واقتراحات ومشاريع

٥-٥- شباب العونة: «املؤوا الجرار ماء»

تكليف كاريتاس لبنان بانشاء مجموعة من فرق الاغاثة والاعانة العاجلة، استجابة للحالات الانسانيّة الطارئة والمرافقة الدائمة:

١) المرشدون الروحيّون

٢) النفس علاجيّون

٣) الأطبّاء

٤) الحقوقيّون

٥) المهندسون

٦) الفنّيّون

٧) الشباب المتطوّع...

٦-٥- طرح الصّوت: «ألقوا الشبكة»

تكليف المركز الكاثوليكيّ للاعلام بانشاء مجموعات من فرق الاعلام والنشر تطرح شبكة قراءة مسيحيّة للأحداث والأفكار، وتبرز وتكرّم نماذج حيّة جسّدت سخاء المحبّة.

١) صحافيّون وإعلاميّون

٢) أدباء وشعراء

٣) كتّاب ومفكّرون

٤) زجّالون ومغنّون

٥) فنّانون ومسرحيّون

٧-٥- مدرسة الحياة: «لينموا بالنعمة والحكمة والقامة»

تكليف تجمّع المدارس الكاثوليكيّة باعادة هيكلة مناهج التعليم ومقرّراتها باتجاه إعداد الناشئة للحياة لا لنيل الشّهادات وحسب:

١) إعداد للأبوّة والأمومة

٢) إعداد للمواطنيّة

٣) إعداد للتضامن الاجتماعيّ بحرّية

٤) إعداد لادارة المآزم بسلام

٥) إعداد لترقّي المجتمع بفرح

٦- التحوّلات الذهنيّة المواكبة للحداثة

١- إنتاج المعرفة > نقل المعرفة

٢- صناعة الخبر > نشر الخبر

٣- نوعية الحضور والفرح > كميّة التقديمات وماديّتها

٤- إشراك الفرقاء > استخدام الآخرين

٥- المبادرة والاستنباط > الانصياع والاتباع

٦- الممسألة والالتزام > الأمر والطاعة

٧- الصراع في سبيل الانسان > الصراع في سبيل الآلهة

٧- المحبّة تؤنسن الحداثة

مقياس الحداثة في الشأن الاجتماعيّ

١ - المحبّة المبذولة لا المعدّات المتوفرة

٢- ملاقاة الآخر لا التكارم عليه

٣- تأهيله للمشي لا مدّه بالعكّازات

٤- جعله منتج وجوده لا إبقاؤه عالة

٥- بناء ملكوت أبناء اللّه الأب لا ترميم ممالك عبيد الأرض

د. نعيم سالم

الكنيسة المارونيّة والشأن الاجتماعيّ

الشأن الاجتماعيّ هو ربّما الأكثر تشعّباً في عناوين بحثنا حول الكنيسة المارونيّة في عالم اليوم. ولكنّي سأركّز في إطار الشأن الاجتماعيّ على خمسة أمور أو أدوار رئيسيّة، وسأسردها وأعالجها تبعاً لإلحاحها في واقعنا الراهن.

أوّلاً، دور الكنيسة في التصدّي للفساد والافساد في لبنان وتأثيرهما السلبيّ على المجتمع – الفساد الاجتماعيّ والسياسيّ.

ثانياً، دور الكنيسة في المساهمة بالعدل الاجتماعيّ والدفاع عن حقوق الانسان.

ثالثاً، دور الكنيسة المارونيّة في الدفاع عن حقوق الانسان على مستوى المنطقة العربيّة والمشرق انسجاماً مع لقب البطريرك المارونيّ (وأكثريّة البطاركة المشرقيين) "بطريرك أنطاكية وسائر المشرق".

رابعاً، دور الكنيسة ومساهمتها في توفير حياة كريمة للانسان من خلال تحصينه في بيئته وعمله وأرضه، خاصة في الريف حيث الانتماء إلى الأرض والكنيسة والله والوطن هو أكثر تجذّراً ونقاءً وعفّةً، وحيث الكنيسة المارونيّة طبعت أودية وتلال وصخور جبل لبنان بطابعها.

خامساً، دور الكنيسة الاجتماعيّ من خلال التعليم والتربية.

أوّلاً

فيما يتعلّق بالدور الأوّل، أي تصدّي الكنيسة للفساد، فإنّه في ظلّ استشراء هذه الظاهرة في المجتمع اللبنانيّ وتفاقمها وما ينتج عنها من تقويض لدعائم المؤسّسات والادارة والمجتمع وإضعاف الاقتصاد ونهبه وتقاعس المؤسّسات الرسميّة في تأدية دورها في معالجة هذه المعضلة، أصبح من الملِحّ على مؤسّسة محوريّة في لبنان كالكنيسة المارونيّة، لا بل من الواجب عليها كمرجعيّة دينيّة وإجتماعيّة أن تتصدّى لهذه الظاهرة المقوّضة للمجتمع والاقتصاد. فلفتُ

الأنظار من قِبل البطريركيّة المارونيّة بين الفينة والأخرى أمور الفساد في عظات الآحاد وبكلام عام عن النزاهة والشفافية لا يفعل بالحقيقة فعله في تغيير الواقع. السياسيّون أنفسهم يتحدّثون دائماً عن الهدر والفساد وسرقة المال العام والمحسوبيّات. ولكن لا أحد يذكر أسماء، ولا أحد في النتيجة يُحَمَّل المسؤوليّة عمّا ارتكب إلاّ في ما ندر جدّاً، والبلد ماشي والهدر والفساد ماشي.

في هذا الإطار السياسيّ غير السويّ حريٌّ إذاً بمسؤولي الكنيسة، خاصّة غبطة البطريرك، أن يسمّوا الأمور بأسمائها والأشخاص بأسمائهم من مرتكبين وسارقين لأموال الشعب، وأن يطلب علناً، إذا اقتضى الأمر، من القضاء التحرّك ضدّهم، وأن ينتقد القضاء نفسه إن تلكّأ أو تقاعس في إحقاق الحقّ، وبذلك تُقوّى الكنيسة وترجّح كفّة الصالح على الطالح في مؤسّسات المجتمع وتُعطى عضداً للصالحين بوجه الفاسدين والمفسدين.

ثانياً

فيما يتعلّق بالتزام الكنيسة الدفاع عن حقوق الانسان، فإنّها ما فتئت تقوم بهذا الدور، ولكن هناك حاجة إلى المزيد وإلى أن تعزّز وترسّخ أكثر في أذهان أبنائها ثقافة حقوق الانسان والتي هي بجوهرها مبنيّة على التعاليم المسيحيّة. فمساهمة الكنيسة في تعزيز العدالة الاجتماعيّة إنّما يسهم في ترسيخ إيمان الانسان والمواطن بوطنه وبربّه ويقوّي ارتباطه بمجتمعه وثقافته وكنيسته. والعكس صحيح، ففقدان العدالة الاجتماعيّة والأمل إنّما يؤدّيان بالمواطن إلى اليأس، وربّما الكفر بالقيم الاجتماعيّة، وهذا ينعكس سلباً على الالتزام بالقيم الدينيّة والكنسيّة.

ثالثاً

فيما يتعلّق بدور الكنيسة المارونيّة في الدفاع عن حقوق الانسان على مستوى المنطقة العربيّة، فإنّ الكنيسة يجب أن تلتفت دوريّاً إلى القضايا المشتركة التي تجمع لبنان والعرب، وكلاهما تعرّض ويتعرّض لمظالم إنسانيّة كبرى. إنّ المظالم الانسانيّة الكبرى تتطلّب وقفات كبرى من قادة الكنيسة المارونيّة في المشرق، خاصّة بما تمثّله بكركي من حلقة وصل مع الفاتيكان والعالم المسيحيّ الغربيّ. إنّ وقفة البطريرك مار نصرالله بطرس صفير عشيّة الحرب الأميركيّة على العراق ضدّ هذه الحرب في خطبته البليغة حجّة إنسانيّة كان لها وقع ايجابيّ كبير عند الكثيرين

من العرب والمسلمين كما قرأنا وسمعنا. وموقف بكركي كان مكمّلاً ومتناغماً مع موقف الكنيسة الكاثوليكيّة الأمّ في روما. وهذان الموقفان ساهما في تخفيف الانطباع أنّ المسيحيّة الغربيّة هي التي تصارع الإسلام، بينما في الحقيقة أنّ الحرب على العراق كان لها في الدرجة الأساس منحىً امبرياليّ.

من جهة ثانية أيضاً، إنّ دفاع الكنيسة المارونيّة عن حقوق الانسان في فلسطين لهو شاهد آخر على التزامها بجوهر مبادئها وبجذورها المسيحيّة في القدس ملتقى الأديان السماويّة الثلاثة. من هنا أنّ انتصار بكركي والكنيسة المارونيّة لقضايا الشعوب المشرقيّة المحقّة يكون أشد وقعاً وتأثيراً على نفوس المسلمين في لبنان والمنطقة من كلام مشابه يمكن أن يصدرَ عن رجل دين مسلم. هكذا مواقف تعزّز أصالة الكنيسة المارونيّة، وبالامتداد، المسيحيين في المشرق، وتخفّف من طفرة بعض بؤر العداء للمسيحيين الذي ينحو به بعض الأصوليين المسلمين الذين تحوّلوا إلى الأصوليّة المتزمّتة كرد فعل على ما يرونه من ظلم الغرب المسيحيّ لهم، ويخفّف من تعميم الاستنتاجات الخاطئة أو Stereotyping لفئات معيّنة من البشر.

رابعاً

تطرح إشكاليّة البحث لحلقتنا الدراسيّة "قضيّة التزام الرأسمال في مجالات خلق نشاطات مهنيّة جديدة تساعد على تحسين نوعيّة الحياة: في المدينة والريف".

يجب أن نلفت النظر بداية إلى أنّ الرأسماليّة الغربيّة ونظام السوق العابر للقارّات والحدود أصبحا ظاهرة متفشّية في كلّ أرجاء العالم ولن يُمسيا أو يَغرُبا في زمننا القريب، على الأقلّ. عالميّاً، نظام السوق، وفي معظم مناطق العالم، طغى ويطغى على عوامل الانتاج وتمركز رأس المال وهيمنة مجتمعات معيّنة وتهميش أخرى كثيرة - دوليّاً وعلى مستوى كلّ بلد. وإذا استعرضنا المحاولات الكثيرة التي جرت عالميّاً للتصدّي لنظام السوق الكاسر والمهيمَن عليه أنغلوساكسونيّاً، ذلك يشمل محاولات الكنيسة الكاثوليكيّة العالميّة خاصّة في أميركا اللاتينيّة، وكذلك في أميركا اللاتينيّة محاولات تيّار اللاتبعيّة الاقتصاديّة أو الـ Dependistas أو Dependency thearists، نجد أنّ معظم هذه المحاولات أُحبطت بالمجمل أو فشلت. أحد أبرز منظّري اللاتبعيّة الاقتصاديّة كان Fernando Henriqué Cardoso الذي نُكِّل به على يد العسكر في البرازيل في الستّينات، ثمّ عاد ليصبح رئيساً للبرازيل في التسعينات.

ليس هدفنا هنا تقييم أسباب فشل بدائل نظام السوق. ولكنّ فشل محاولات الكنيسة الكاثوليكيّة في أميركا اللاتينيّة في هذا المجال سآخذه كمنطلق لتحديد المجالات التي يمكن للكنيسة المارونيّة في لبنان أن تؤثّر من خلالها إيجاباً في الوضع الاجتماعيّ. وهذه المجالات في لبنان تتمثّل في قطاعين زراعيين أساسيين على الأقلّ:

القطاع الأوّل هو قطاع التفّاح المميّز في الزراعة اللبنانيّة والذي كان يشكّل في السبعينات القطاع الأهمّ زراعيّاً. وشجرة التفّاح في لبنان هي مسيحيّة الموطن، وتحديداً مارونيّة بشكل رئيسيّ. والتفّاح من أكثر الزراعات تقهقراً عندنا حيث أنّ إنتاج لبنان من التفّاح حاليّاً يشكّل تقريباً ثلث الكميّة التي كانت تُنتج في العام ١٩٧٥، وهذا ما يفاقم الوضع الاقتصاديّ الريفيّ المتردّي للموارنة خصوصاً، موارنة جبل لبنان والريف، ولمسيحيي الجبل عموماً. من هنا يمكن للكنيسة المارونيّة أن تساهم في تمويل توضيب وتصنيع منتوجات التفّاح اللبنانيّ تبعاً للمواصفات الأوروبيّة والدوليّة حتى يمكن بالتالي تصديره إلى الأسواق العالميّة، خاصّة في ظلّ شبه حظر خليجيّ ومصريّ، وبضغوط أميركيّة، على استيراد تفّاح لبنان. ويمكن للكنيسة من جهة أخرى أن ترفع الصوت عالياً على المسؤولين وعلى الدول العربيّة التي تحاصر إنتاج لبنان.

أمّا **القطاع الثاني** الذي من خلاله يمكن للكنيسة أن تساعد المزارع على البقاء في أرضه في لبنان فهو قطاع الزيتون. فشجرة الزيتون هي شجرة مسيحيّة بامتياز من فلسطين موطن المسيح إلى كلّ الأديرة المارونيّة وغير المارونيّة في لبنان حيث كان اخضرار أراضيها تقليدياً تطبعه الملايين من أشجار الزيتون بطابعها وطابع سواعد رهبانها وتزيّنه باخضرارها على مدار السنة بما تمثّله من معانٍ للسلام. إعادة دعم الكنيسة المارونيّة لهذه الشجرة المسيحيّة الأصيلة من خلال مثلاً تمويل مشاريع كمشروع نايلة معوّض في الشمال والذي نجح في إنتاج زيت زيتون موضّب تبعاً للمواصفات الأوروبيّة العالميّة، وبالتّالي أصبح بالامكان تصدير هذا الزيت من تلك المعصرة العصريّة إلى أوروبا والخارج بدلاً من أن يبقى مكدّساً كما هو حاليّاً من سنة إلى أخرى في مختلف أنحاء الريف اللبنانيّ. تعهّد الكنيسة لمشروع كهذا يمنحه دفعاً في التسويق في أوروبا وغر أوروبا، ولن يكون خاسراً وسيعطى المزارع اللبنانيّ دفعاً إضافياً كي يبقى في أرضه.

خامساً

على الكنيسة المارونيّة، وفي ظلّ تقهقر الدولة في قطاع التعليم، أن تنمّي وتوسّع نشاطاتها التربويّة. وبالمناسبة هذه النشاطات مربحة ماديّاً أو على الأقلّ ليست خاسرة. يجب أن تُوسَّع هذه النشاطات أكثر وأكثر في كافّة المناطق اللبنانيّة، مسيحيّة كانت أم إسلاميّة. الدور الاجتماعيّ الأكثر إيجابيّة والأكثر مردوداً في تحسين حياة الناس هو التربية والتعليم. وما شهرة اليسوعيين Jesuits عالمياً إلاّ من خلال التربية والتعليم. يمكن أن تساعدَ إنساناً وتقدّم له رغيف خبز مرّةً، ولكن عندما تعلّمه أن يصبح منتجاً فإنّك توفّر له الخبز على الدوام.

إضافةً، أهمّ تأثير إيجابيّ يمكن للموارنة والمسيحيين بشكل عام أن يؤدّوه تجاه أبناء مجتمعهم، وذلك يشمل المسلمين،

هو في التربية ومن خلال التربية. هذا العامل يجعل المسلمين يقدّرون أكثر دور المسيحيين فيما بينهم وبالتالي يساهم هذا العامل في التواصل والتناغم الاجتماعي.

دور الكنيسة في التربية مهمّ ومؤثّر في المراحل التربويّة كافّة، أكانت مدرسيّة أم جامعيّة. دور الكنيسة في التعليم الجامعيّ حديث نسبيّاً مقارنة مع التعليم المدرسيّ، ولكنّ توسيع هذا الدور الجامعيّ له أهميّة متزايدة في ظلّ ارتباط فرص العمل بشكل متعاظم بالتعليم الجامعيّ المتقدّم. ومن الاختصاصات التي يجب على الجامعات المارونيّة-الكاثوليكيّة أن تلحظها وتوفّرها لأهميتها أخص بالذكر الهندسة الصناعيّة والكيمياء والفيزياء. هذه الاختصاصات تساهم بشكل مباشر في الصناعة والتصنيع. الاختصاصات هذه لا تتوفّر حالياً في أكثريّة الجامعات اللبنانيّة. في جامعة سيّدة اللويزة مثلاً لا تقدّم الهندسة الصناعيّة، ولكن عندنا الفيزياء والكيمياء اللذان يمكن أن يُموّلا أكثر ويُشجّعا أكثر بالتعاون مع المؤسّسات الصناعيّة في المجتمع.

الأب بولس وهبه

الكنيسة المارونيّة والكنائس الأخرى في الشرق: مقاربة رعائيّة واجتماعيّة في سبيل شهادة مشتركة

الكنيسة هي، تعريفاً، جسد المسيح، أي امتداد حضوره عبر التاريخ. إلاّ أنّ تحديد [مفهوم] الكنيسة - مع "أل" التعريف - صعب للغاية. فهي، من ناحية، كلّ المسيحيين المؤمنين بالثالوث وتجسّد ابن الله وبالفداء الذي أَتَمَّهُ بالصليب والقيامة؛ وهي، من ناحية أخرى مجموعة مؤمنين قاطنين في بقعة جغرافية تشكّل وحدة ثقافيّة وجغرافيّة وربّما إثنيةً حضاريّةً ذات تاريخ واحد أو مشترك. ولكنّها، أي الكنيسة، أيضاً الذين ينتمون إلى مذهب معيّن في رقعة ضيّقة - تسمّى الأبرشية - برئاسة أسقف، وهي المحتفلين بالإفخارستيّا [سر الشكر - القدّاس] معاً في مكان معيّن حيث يتحقّق ملء الكنيسة لاهوتيّاً في الذبيحة الإلهيّة (القدّاس) الواحدة.

لهذا، فإنّ الكنيسة المارونيّة تجمع كلّ هذه الأبعاد. فهي جزء من الكنيسة في العالم وعبر التاريخ، وهي على بقعة جغرافيّة واحدة، يُحسبُ انتشار أبنائها خارج حدودها التاريخيّة امتداداً لها. لكنّها، كذلك، كنيسة ذات نكهة فريدة؛ فهي متجذّرة في أرض ولغة وتاريخ وشعب ومنظمّةٌ في أبرشيّات، كلّ منها بإمامة أسقف. تُشرف على رعايا أبرشيّته. لكنّ السؤال هو: ما هي رسالة هذه الكنيسة التي شاءها الربّ أن تكون هكذا، وهذه المشيئة ظاهرة في وفرة عطائها الروحيّ والعلميّ والاجتماعيّ عبر قدّيسين كثيرين وإنتاج علميّ غزير وخدمة اجتماعيّة فاقت فيها كلّ الكنائس الأخرى في هذه المنطقة.

في يقيني أنّ رسالتها هي، بالضبط، في هذا المثلّث: الروحيّ/ العلميّ/ الإجتماعيّ، وللثلاثة أبعاد تتخطّى حدود الكنيسة المؤسّساتيّ (أي المنتسبين إليها) لتطال كلّ من شاركها الأرض والتاريخ والمصير. كما أنّ واقع إنتاجها الثقافيّ والعلميّ وامتدادها الاجتماعيّ عبر مؤسّساتها التعليميّة والرساليّة وما إلى ذلك لا يحتاج إلى لفت نظر أو إلى إشادة.

لهذا، سأحصر مداخلتي في الإطار التالي. ماذا يمكن للكنيسة المارونيّة أن تفعله من خلال كلّ

ما تعطيه ومن خلال كلّ ما هي قادرة على عطائه وبالتعاون مع الكنائس الأخرى – وامتداداً – بالتكاتُف مع مشاركيها في الأرض والمستقبل وربما المصير.

إن ما أُنجز، على هذا الصعيد، يبقى دون ما ينتظره الناس منّا، مع الإقرار بأنّ الكنيسة المارونيّة قد فعلت أكثر من غيرها من خلال مشاركتها الفعّالة والمركزيَّة/ الرئيسيَّة في "مجلس البطاركة والأساقفة الكاثوليك" الذي أنجز الكثير الكثير على صعيد تفعيل الإطار والأعمال المشتركة والتعاون على مختلف الصعد، وفي "مجلس بطاركة الشرق" الذي وحّد الرؤية وأطلق المحبّة المتبادلة التي تجسَّدت وتتجسّد في الكثير من المودّة والقبول المشترك والإرادة على المزيد. ما ينقص هو تفعيل العمل المشترك الجاد على المستويين، الرعائيّ والإجتماعيّ. فتفعيل زخم ونشاط الكنيسة المارونيّة، والحال ينطبق على سائر الكنائس، هو في تفعيل العمل الرعائي المشترك في محبّة كاملة للآخر، أخي في الايمان والتاريخ والمصير، وهذا لا يتم – والقولة تنطبق على الجميع – إلاّ من خلال تجذّر رعاة كلّ كنيسة في تراثها بغية الإقراء المتبادل وتبادل الرؤى والخبرات.

هذا يلزمه تعاون أساقفة الأبرشيّة الواحدة عبر اجتماعات دوريّة وإنشاء لجان مشتركة وغيرها، والرأس هو مثال للعاملين تحت مظلّته – فإذا كان على زخم كبير اقتدوا به ومشوا على دربه. هذا يُترجَم في تعاون كهنة وقُسُس الرعيّة الواحدة عبر تبادل الزيارات والدرس المشترك للكتاب المقدّس واجتماعات مشتركة للشبيبة والنساء وغيرها، كما في تعاون حثيث في حلّ المشاكل المتأتّية عن الزيجات المشتركة وجمع العائلات الناشئة من زواج مشترك، وذلك في توجُّهٍ مشترك لهم من قِبَل رعاة عائلاتهم الأصليّة. يضاف إلى ذلك وجوب التعاون على مستوى الخدمة الإجتماعيّة لمن احتاج إليها. بهذا تظهر وحدة الكنيسة من خلال وحدة رعاتها، وهذا يتطلّب من أساقفتهم ومن رؤسائهم أن يجمعوهم ضمن نطاق الأبرشيّة الواحدة. وقد كانت لي خبرة جميلة جداً على هذا الصعيد عبر برنامج أُنشئ ضمن قسم "الايمان والوحدة" من "مجلس كنائس الشرق الأوسط". فقد استطاع هذا البرنامج، الذي توقّف لسوء الحظ بعد انتخاب رئيس القسم الأب بول صيّاح مطراناً، أن يجمع رعاة – كهنة وقسساً – من مختلف كنائس ومناطق لبنان في لقاءات دوريّة، كانت خلوات أكثر منها لقاءات، امتدّ كثير منها لأكثر من ٣ أيّام ونتج عنها لجان ولقاءات في المناطق. أقول هذا بأسف شديد بعد أن كنت في عداد اللجنة التي أوكل إليها الإشراف على هذا المشروع، وهو جدير بأن يعاد إحياؤه بمبادرة من إحدى

الكنائس أو من خلال "مجلس بطاركة الشرق" أو من خلال الأمين العام الجديد لمجلس كنائس الأوسط.

إنّ هذا التوجّه المشترك يحلّ الكثير من المشاكل ويبدّد الكثير من الغوامض والإبهامات ويساهم كثيراً في تحفيز الوحدة الكنسيّة. كما أنّه يحقّق الكثير على صعيد إبراز الحبّ الذي يجب أن يجمع الرعاة لكي يعطوا نموذجاً لأبناء رعاياهم. إنّي أعتقد أنّ الكنيسة المارونيّة يمكن أن تكون سبّاقة ورائدة في هذا المجال للأسباب التالية. فهي، أوّلاً، مشرقيّة، أي متجذّرة في التاريخ والتراث والأرض. كما أنّها رساليّة؛ وما أسلفنا سابقاً عن نطاق خدمتها الروحيّ والرعائيّ والتعليميّ وعلى نطاق الخدمة الاجتماعيّة وغيرها لخير دليل على ذلك. وهي أيضاً كاثوليكيّة، أي إنّها تعيش بعدها الجامع الذي يرتبط ويتفاعل مع الكنيسة في العالم ومع أبنائها التي تحنو عليهم في الخارج أيضاً (كما في الداخل). إضافة إلى هذه، هي كنيسة عانت الكثير من الألم وجاهدت كثيراً وبالتالي تحمل الإنسان المقهور جرحاً تسعى إلى اندماله.

إنّ ما تختزنه الكنيسة المارونيّة من هويّة وأبعاد قادر على أن يجعلها في موقع المفعِّل الأكبر على الصعد الرعائيّة والاجتماعيّة عبر اشتراكها مع الجميع وعبر إشراك الجميع معها في مسيرتها وخدمتها. إنّ عدم فعل ذلك يشكّل وبالاً ليس فقط عليها، بل على الكنيسة في الشرق أيضاً، التي يجب على كلّ قسم منها أن يكون في هذا التوجّه، وإلاّ غرق المركب وجميع من عليه.

الكنيسة المارونيّة والقضايا الإقتصاديّة

د. إيلي يشوعي

الكنيسة المارونيّة والقضايا الاقتصاديّة

أصبحت الكنيسة المارونيّة معنية اليوم بالمسائل الاقتصاديّة، لأنّها في لبّ القضيّة الوطنيّة. وعلى الكنيسة أن "تسمّي الأشياء بأسمائها" وتحمّل كلّ المسؤولين مسؤوليّة انحراف سياسات الدولة، لأنّ الوضع رديء لكثرة ما نشهده من صعوبات ماليّة واقتصاديّة.

وفي المسألة الاقتصاديّة، أشدّد على ٥ أمور هي من أسباب تفاقم هذه المشكلة، وهي:

١- مسألة الحماية

فكرة الحماية ضروريّة في الاقتصاد كي نعطي قطاعاتنا الانتاجيّة أفضل الفرص لمنافسة المنتجات الأجنبيّة، لكنّ سياسة الحماية منحرفة في لبنان ويعتريها الكثير من الأخطاء. الوسيلة الرئيسيّة للحماية هي السياسة الجمركيّة، والمنافسة الاقتصاديّة يجب أن تتمّ على صعيد النوعيّة لا بسبب فرق التكلفة، إنّما بسبب ميزتها التفاضليّة. وتبدأ المنافسة بتكاليف متوازية، ثمّ تتمّ على صعيد النوعيّة، ولمساواة التكاليف السياسة الجمركيّة هي الوسيلة.

وكلّ وارداتنا هي من الشرق الأقصى حيث التكلفة أقلّ، ويبرّر أصحاب القرار ذلك بمقتضيات العولمة، وهذا خطأ، لأنّ العولمة تفرض على الدول النامية أن تحمي نفسها من الإغراق.

٢- مسألة الاستثمار

للاستثمار قواعد وشروط، ويحتاج المستثمر إلى تمويل، ولكنّ السياسات النقديّة تعتريها أخطاء جسيمة، كالفوائد المرتفعة ممّا يعطّل الاستثمار وبالتالي فرص العمل وتعزيز النموّ الاقتصاديّ.

٣- مسألة النموّ الاقتصاديّ والتنمية

يجب أن يترجم النموّ إلى تنمية بواسطة سياسات ضريبيّة ملائمة، لكنّ الانتاج يتقلّص يوميّاً مع

إقفال المؤسّسات، ممّا يعطّل النموّ. ونشهد تعطّل استعمال العملة الوطنيّة: هناك "دولَرة" عالية في الاقتصاد كون ٦٥٪ من الودائع هي في الدولار الأميركيّ.

٤- مسألة الطلب والقدرة الشرائيّة في الاقتصاد

يأتي الطلب من الادّخار، والادّخار من الدخل، والدخل من فرص العمل، وفرص العمل من الاستثمار. وبما أنّ الطلب ضعيف، تتراجع القدرة الشرائيّة مع ازدياد الأعباء الضريبيّة. ومن هنا الركود الاقتصاديّ الذي يؤدّي إلى انهيار اقتصاديّ.

٥- فقدان أخلاقيّات العمل في القطاع الخاص

بسبب شحّ السيولة في الاقتصاد وضعف الطلب الاستهلاكيّ، شرع المتعاملون في لبنان بتحرير الشيكات المؤجّلة متّكلين على إيرادات متوقّعة، وغالباً ما يخطئون في توقّعاتهم، فتغيب الايرادات المحتملة وتصبح شيكاتهم دون مؤونة، فإمّا يؤجّلون مرّة جديدة استحقاقاتهم الماليّة أو يختفون من البلد.

د. ڤيڤيان نعيمة

الكنيسة المارونيّة والقضايا الاقتصاديّة

لا يمكنُ اختزالُ الكنيسة بجماعةِ المؤمنين ولا بالمؤسّسة الكهنوتيّة مهما عظم شأنُها وفاح طيبُ القداسة منها. إنّها جسدُ المسيح يسوع، وإطارُ تقديس الإنسان، وركنُ خلاص البشريّة. إنّها الكنيسة المناضلة على الأرض من أجل ترميم صورة اللّه ومثالِه في الإنسان العائش في السقوط، إذ تأنسن اللّه كي يتمّ تأليه الإنسان بالنعمة. إنّها، في منظورِ العشق الإلهيّ، لولبُ صلاة فرديّة وجماعيّة مستمرّة، يتمحور على البشارة وسرّ الشكر، انطلاقاً من توبة الذهن والقلب. إنّها، في منظور المحبّة الإلهيّة السارية في البشر، انفتاح - بنعمة الروح القدس - على مشاهدة يسوع في وجه كلّ إنسان، بخاصّة الضعيف والفقير والمرذول والمضطهَد. بقدر ما على الكنيسة أن تكون دربَ صلاة وتأمّل في الأسرار الإلهيّة، أي نسك وتصوّف، عليها أن تضحيَ تجسيداً لمحبّة القريب، شهادةً على كرامة الإنسان، تحقيقاً للعظة على الجبل، تجلّياً لشمس العدل له المجد.

أليست الكنيسةُ الأولى - كما يصفها القدّيس لوقا - خيرَ مثال على مجتمع التآخي والمشاركة من غير حدود. ألم يبلور آباء الكنيسة - وعلى رأسهم القدّيس باسيليوس الكبير - نظرةً متقدّمة في طروحاتها الاجتماعيّة على أكثر الرؤى الأوطوبيّة الحديثة جرأةً من المنظور الاشتراكيّ؟ ألا تحتوي نصوص عقيدة الكنيسة الكاثوليكيّة الاجتماعيّة على أسس مجتمع تسوده العدالة والحرّيّة، دون تضادّ بين العدالة والحرّيّة. أليست الكنيسةُ أساساً لحركات تحرّر سياسيّة واجتماعيّة ورائدةً للمسارات التنمويّة عبر العالم؟

هذا لا يعني تحويلَ الكنيسة إلى حزب أو نقابة، كما لا يجوزُ تحييدُها وتحجيم دورِها الاجتماعيّ في زمن الأزمات. بقدر ما تدعو الإنسان على صعيده الشخصيّ إلى التوبة والقداسة، على الكنيسةِ أن تنخرطَ في العالم من دون أن تكون من هذا العالم، وذلك بغية خلاصه بواسطتها ومن خلالِها. في مقابل التسيير الستالينيّ واستلاب إرادة المواطن، وفي مقابل اختزالِ الرؤى الأولتراليبراليّة للإنسان وللمجتمع بالبنى الاستهلاكيّة، تدافعُ الكنيسة عن كرامةِ الإنسان

وحرّيّته، وتجعله محورَ الدورة الاقتصاديّة، وغايتَها، أي إنّها تجعل للاقتصاد استراتيجيّة إنسانيّة وحيدة، هي التنمية الشاملة المتوازنة المستدامة. انطلاقاً من هذا المبدأ، فإن معالجة القضايا الاقتصاديّة من منظور الكنيسة المارونيّة يمكن أن تتّخذ طريق الأصول الطبّيّة في المعالجة: واقع فتعليل فعلاج.

١- ماذا عن واقع هذه المسألة؟

أتى "دليل التفكير" الصادر عن المجمع البطريركيّ المارونيّ على شرحٍ لأهمٍّ خصائصِ الكنيسة المارونيّة في المجالِ الاقتصاديّ والتي تتلخّص بالتالي ذكره:

١- امتلاكُ الكنيسة لحيازاتٍ وأراضٍ زراعيّة واسعة.

٢- ابتعاد هذه الكنيسة عنِ الشأنِ الاقتصاديٍّ بعدَ الاستقلالِ بِحَيْثُ تركّزَتْ مهامّها على الشؤون التربويّة والخيريّة.

٢- ماذا عن الموجبات أو المهامّ-المبادئ التي أقترح أن يكون للكنيسة دورُ الصدارة في مواجهتها، وبالتالي ماذا عن آليّةِ معالجةِ الأوضاعِ الاقتصاديّة؟

لعلَّ **المهمّة الأولى** والأهمّ هي تسويغُ الالتزام الاقتصاديّ للكنيسة. فالكنيسة هي أوّلاً كنيسةُ الفقراء، وعليها أن توقظَ الضميرَ الهاجعَ على ضَرورةِ الاندماجِ الاجتماعيٍّ مِنْ أجْلِ التطوّرِ الشامل والإنماء المتوازن.

أمّا **المهمّة الثانية** التي أقترحها في هذه العجالة، فهي تتعلّق بتحديد أشكال التزام الكنيسة في الحياة الجماعيّة، التي ألخّصها بالنقاط التالي ذكرها:

١- العمل على تغيير المؤسّسات المدنيّة في اتجاه العدالة، وبخاصّة لمصلحة الفقراء.

٢- حسن استعمال الأملاك الكنيسة في سبيل خلق فرص للعمل ولتطوير الوضع الاقتصاديّ العام.

٣- العمل على ربط الاقتصاد الوطنيّ بالاقتصاد اللبنانيّ المغترب وباقتصاد بعض البلدان ذات الصلة بلبنان.

٤- ربط الاقتصاد بالثقافة وذلك بخاصّة من خلال العمل على محو الأميّة، ونشر الوعي المواطنيّ في المجتمع، وهذا شرط من شروط التطوّر السياسيّ والاقتصاديّ، نحو تنمية شاملة ومتوازنة ومستدامة.

٥- مساعدةُ ذَوي الدخلِ المحدود على عدم الاستسلام لقدَرهم، وذلك من خلال ابتكارِ طرائق وتحفيزات تخرج بهم من أوضاعهم المتردّية.

ننتقل الآن إلى اقتراح الآليّات التي من خلالها يمكنُنا تحقيقُ المهامٍّ المذكورة آنفاً.

١- اتّخاذُ مواقفَ متقدّمة في شجبِ الفسادِ الذي يعتري الدولة، بما في ذلك، إن لزمَ الأمرُ، محاسبةُ المسؤولين.

٢- طرحُ تصوّرات بديلة للسياسات الاقتصاديّة والماليّة المعتمَدَة حاليّاً، وذلك انطلاقاً منْ طروحات الخبراء العلميّين المستقلّين، ودعمُ المسارات التصحيحيّة والإصلاحيّة الناجمة عن تلك الطروحات.

٣- جهد تنظيميّ لاستغلال أفضل لممتلكات الكنيسة المارونيّة الزراعيّة والعقاريّة، ولمؤسّساتها التربويّة، والاجتماعيّة والصحّيّة.

٤- زيادةُ التلاحمِ بينَ المواطنينَ بإرشادٍ منَ الكنيسة، بُغْيَةَ تفعيلِ القُدرات البشريّة وتهيئةِ التغييرِ الاجتماعيّ الاقتصاديّ.

٥- الاصلاح الداخليّ في المؤسّسات الكنسيّةِ كَيْ تُضْحِيَ مثالاً وقُدْوَةً للمجتمع، وتحقيقاً لِقيَمِ العدالة والصدق والشفافيّة والتسامح على درب المحبّة.

٦- التركيز على توعية الجيل الصاعد من خلال التربية بخاصّة على الصعيد الاقتصاديّ الاجتماعيّ. وتحتاج كلّ نقطة من النقاط المطروحة أعلاه إلى دراسة معمّقة خاصّة بها.

الكنيسة لم تكن يوماً جماعة المسيحيين. إنّها جسدُ يسوع السرّيّ والكونيّ، وخلاصُ البشر أجمعين وتقديسُ المجتمعات والأُمَم برمّتها.

الكنيسة المارونيّة والإعلام

د. جوزيف عجمي

الانفتاح قدر المارونيّة

بدايةً أقول إنّ الكنيسة المارونيّة، كنيسة القدّيسين والأبرار والفلاسفة والفلاّحين والشهود والشهداء، لا يمكن إلاّ أن تكون حيّة فاعلةً ونشيطة إلى حدّ الغليان في نشر آرائها ومواقفها ورسائلها إلى من يهمه الأمر.

فيما كنت أقرأ عن الكنيسة المارونيّة وجدت في أحد المصادر بأنّ القدّيس مارون، أبا الطائفة، وإن تنسّك، ابتعاداً عن النزاعات المسيحيّة آنذاك، في قمّة جبل، لتمجيد الربّ، فإنّه اكتشف بأنّ دعوته الحقيقيّة كانت للعيش مع الآخرين والتبشير بالمبادئ المسيحيّة. وفي هذه المرحلة، انضمّ إليه كثيرون وآمنوا بمبادئه وأصبحوا يسمّونهم بالموارنة تيمّناً بالمعلّم.

إنّه قدر المارونيّة، هذه الأقليّة المتجذّرة الصلبة، أن تنفتح على الآخرين وأن تتفاعل مع محيطها، هي التي أصبحت صنواً للوطن المنفتح دائماً وأبداً. إنّ قدرها أن تنفتح على الآخرين، خصوصاً في زمن العولمة والنزاعات والانقسامات العالميّة والمحليّة على السواء.

في العديد من النواحي أقول ما أشبه اليوم بالبارحة، و تحديداً في مواضيع التحدّي الدائم الذي تواجهه هذه الكنيسة لإثبات وجودها ولاستمرار نشاطها، وكذلك في موضوع دور البطريركيّة الوطنيّ والرعويّ والروحيّ وحتى السياسيّ في زمن ندرة الزعامات الزمنيّة التقليديّة.

في المقابل، ما أبعد اليوم عن البارحة في مواضيع العولمة وانهيار الحواجز الاقتصاديّة والثورة التكنولوجيّة والحقائق الأخرى الجديدة والمستجدّة في كلّ أنحاء العالم، ونحن لسنا بمنأى عن هذه التطوّرات.

إنّه في ظلّ هذا العالم الجديد، عالم ما بعد الاتحاد السوفياتيّ والحرب الباردة وما بعد حرب لبنان القذرة ومفاعليها ونتائجها وما بعد ١١ أيلول وحرب العراق وما بعد التغيّرات والديموغرافيّة والاقتصاديّة والتكنولوجيّة، في هذا العالم الجديد تجد الكنيسة المارونيّة نفسها أمام خيارين سأعرضهما باختصار.

أوّلاً: يمكن للكنيسة المارونيّة أن تعود إلى جذورها وأصولها وتاريخها، وربّما يقول البعض إلى عزلتها (أحياناً كانت إراديّة وأحياناً كانت مفروضة)، وبالتالي أن تعيش كباقي أقلّيات هذا العالم داخل حدود مرسومة ومحدّدة ومحدودة تنشد الأناشيد وتلتصق بالتراب وتتحدّى الصخور وأن تتّصل مع المنشرين منها في أنحاء المعمورة ومع أتباعها في الداخل عبر الصلوات وحديث الذكريات والتاريخ والأعراق والطقوس والعادات المتأصّلة. وفي هذا الإطار يمكن للكنيسة المارونيّة أن تبني لنفسها منهجاً خاصّاً في التواصل عبر أقنية محدّدة وضيّقة مثل إنشاء وكالة أنباء مارونيّة، وإصدار جرائد ومجلاّت مارونية غير الرعويّة التي نعرفها وتأسيس محطّات إذاعة وتلفزة مارونيّة بحتة، حتّى أنّه يمكن لها استخدام الانترنت ووسائل المعرفة السريعة لنشر رسائلها والتذكير بتاريخها وبأدوارها عبر التاريخ وعلى جميع الأصعدة. أجل، يمكن لها أن تفعل ذلك، ويمكن أن تكون الحجر الذي يربط الشتات المارونيّ في كلّ أنحاء العالم ومن منظار روحيّ ورعويّ واجتماعيّ وحتّى سياسيّ. يمكن لها أن تفعل كلّ ذلك. وهنا لا أودّ أن أتحدّث عن عواقب هذا الخيار ومفاعيله. ولكن ماذا عن الخيار الآخر، ونحن نتحدّث عن دور الكنيسة الإعلاميّ، والذي لا يمكن أن نفصله عن دورها الروحيّ والسياسيّ والاجتماعيّ. أجل، فإنّه عندما نتحدّث عن الكنيسة المارونيّة لا يمكن الفصل بين الكنيسة وهويّة الوطن والتاريخ والصلاة والجبال واللغة ومواثيق العمل ومبادئ السلوك وقيم التعايش أو الانحسار وحقوق الإنسان وواجباته وكلّ ذلك.

ماذا عن الخيار الآخر؟

يمكن للكنيسة المارونيّة أن تنطلق من المغارة إلى الملعب، ومن وراء الصخور إلى ظلال الأشجار، ومن الاعتكاف والتزمّت ربّما إلى الانخراط والتفاعل. لا، لن أستعمل كلمة الانصهار، التي يرفضها الكثيرون الذين يرغبون في التمايز (وليس التميّز بالضرورة)، وبالتعدّديّة (وليس بالعدديّة)، وبالخصوصيّة وليس "الخاصّة" بالضرورة. يمكن لهذه الكنيسة التي تفاعلت وتواسطت مع وبين مختلف المذاهب والمشارب في فترات من تاريخها، الدخول من الباب الواسع إلى لعبة الشموليّة والعالميّة والتفاعل الناشط محلياً وعربياً وعالمياً. يمكن لها أن تدخل في لبنان الثقافات، لا العصبيّات، كما كتب منح الصلح مستشرفاً الإرشاد الرسوليّ الداعي إلى الانفتاح والتفاعل والذهاب إلى الآخر والحوار معه والاستماع إليه.

وهنا أقول يمكن للكنيسة المارونيّة أن تكون مصدر وحدة ووفاق وحوار وتناغم، بدل أن تنطوي على ذاتها وتدخل في لعبة العصبيّات.

نعم، إنّ الحاجة ماسّة لبقاء الكنيسة على اتصال بجذورها وتاريخها، لكنّها لا يمكن إلاّ أن تعيش وتتكيّف في إطار عالم يتغيّر كلّ يوم أمام أعيننا. قد يبدو ثمّة تناقض بين هذين الخيارين، ولكنّ هذا هو التحدّي الذي ستعيشه الكنيسة المارونيّة في السنوات والعقود المقبلة، والذي سيتطلّب منها أن تبرز موقفها من مختلف القضايا التي تواجه الإنسان والوطن وحتّى البشريّة جمعاء؛ قضايا مثل الفقر والمرض والاستنساخ والعالميّة والمعلوماتيّة والإرهاب واتساع الهوّة بين الطبقات والزواج المدنيّ وزواج مثليي الجنس وصراع الحضارات وغيرها من المواضيع. ولكنْ، هل يجوز أن تفعل كلّ ذلك من خلال منظار مارونيّ بحت أم إنسانيّ شامل؟

ثمّ، هل الانخراط في العالميّة والشموليّة سيؤدّي حتماً إلى ذوبان هذه الكنيسة المتمرّدة الصلبة الفخورة بنفسها وبتاريخها في خضمّ العالميّة والتكتّلات الجديدة؟ إنّها لمعضلة كبيرة تواجهها هذه الكنيسة. وثمّة من يقول بأنّ الكنيسة يمكن أن تتخاطب مع العالم عبر مؤسّسات خاصّة بها، ولكن برسائل وفاقيّة حواريّة شاملة ومنفتحة، فلا تخسر خصوصيّتها ولا تذوب في هذه القرية الكونيّة.

إنّ للكنيسة المارونيّة تاريخاً عريقاً، ليس فقط ببناء المعابد والأديرة والكنائس والجامعات، ولكن أيضاً في إصدار الجرائد والمنشورات، إنّ كان في لبنان أو في سائر بقاع الكون. ومن منّا لم يسمع "بكوكب أميركا" و"الهدى" و"السمير" وبموارنة الفريكة وبشرّي وبآل اسطفان ومكرزل وأبو ماضي وغيرهم الكثير الكثير. إنّ الصحافة تقليدٌ رائع من تقاليد المارونيّة كما الأدب والشعر والاغتراب أو الانتشار، وكما الصلاة والإيمان والعمل الوطنيّ والسياسيّ والاجتماعيّ، وبالتالي لا يجوز التفريط بأيّ من هؤلاء وبالرغم من كلّ التحدّيات. نعم، يجب على الكنيسة أن تستفيد من تراثها ومن وثائقها التي تفوق المليون، ومن منتشريها، ومن أدمغتها، ومن تجاربها السابقة، ومن فصول التاريخ السوداء والبيضاء على السواء ومن شرذمتها وصراعاتها المريرة قديماً وحديثاً. يجب أن تستفيد من كلّ ذلك لكي تستمرّ، ولكي تنشر مواقفها وتطلّعاتها في جميع أنحاء الكون، ولكن ضمن إطار عصريّ شموليّ ووفاقيّ. إنّ المهمّة ليست بالسهلة، لأنّ مصير ومستقبل الكنيسة في "الدق". إنّه خيارٌ صعب، وأنا لست من يقول

للكنيسة ماذا يجب أن تفعل وما دورها الإعلاميّ سوى صليب آخر ستحمله إلى جانب الدور الوطنيّ والزمنيّ والروحيّ والتاريخيّ والمستقبليّ.

أخيراً، أؤكّد بأنّ الكنيسة ستنجح كما نجحت لغاية الآن، وبالرغم من الانتكاسات العديدة في تاريخها؛ ستنجح في التوفيق بين خياراتها الصعبة، وستستمرّ في إيصال رسائلها عبر كلّ الوسائل من الاتحاد الكاثوليكيّ للإعلام إلى الإنترنت والتلفزيون والمذياع إلى القلم والمسرح والطقوس والصلاة، وأهمّ من كلّ ذلك عبر الأفعال والمواقف والتصرّفات في داخل محيطها اللبنانيّ انتقالاً إلى العالم المجاور وإلى العالم بأسره. باختصار: إنّ دور الكنيسة الإعلاميّ، كما دورها الاقتصاديّ والاجتماعيّ والسياسيّ والروحيّ والتربويّ، مرتبطٌ بوجودها واستمراريّتها ونشاطها، كما أنّه يساهم هو في استمرار هذا الوجود الحيويّ والفاعل.

وأخيراً أقول بأنّ الحديث عن أيّ دور إعلاميّ مرتبط بأسئلة وتطوّرات أخرى. السياسة في لبنان عملقت المارونيّة، وكذلك قزّمتها حسب فترات التاريخ. وقبل الحديث عن الدور الاعلاميّ، يجب أن نعرف ماذا سيصير بالمارونيّة؟ هل ستكون مثل أقليّات أخرى كالأرمن واليهود وغيرهم، وما سيتبع ذلك من مستلزمات ونتائج أم إنّها ستحاول الانصهار والذوبان في المجتمعات أم إنّها ستستطيع أن توفّق بين الإثنين؟ وماذا عن مصير لبنان وهو المعقل الأساسي للموارنة؟ أين صار وفي أيّ طريق يسير وأين وجودهم السياسيّ والعدديّ؟ هل لبنان هو للموارنة أم الموارنة للبنان؟ هل ستكون الكنيسة كنيسة؟ هل ستتدخّل في كلّ الشؤون من منطلق كونها كنيسة؟

هل يا ترى سيلعب المارونيّ دور المُوازِن المتحرّك أو المشاغب المظلوم أو المفاخر الدائم؟ وأين صارت نظريّة بيضة القبّان و"بيّ الصبي"، ونظريّة أنّ الموارنة هم الذين صنعوا لبنان، مع أنّ البعض حمّل زعماء الموارنة وزر الحرب وأسبابها. وماذا عن الأمن والاقتصاد والهجرة وغير ذلك؟

في ضوء هذه الأسئلة وغيرها، وفي ضوء الأجوبة عليها يتقرّر مسار وأدوات وهويّة ودور الإعلام المارونيّ. يا له من تحدٍّ صعب لهذه الكنيسة الصعبة!

جورج مغامس

قوارضُ السلطة والمال..
ومَحميّةٌ للإعلام

من صور الاعلام اليوم أنّه صناعةٌ وتجارة، وبالتّالي سوقُ عمل تخضع لمبدأي العرض والطلب والربح والخسارة. ولهذا، ثمّةَ على رأس دُوره، وليس مؤسّساته، من توافقوا فترافقوا في مسارٍ ذهنيّ مهنيّ مصلحيّ، هو، في الغالب المطلق، أولويّتُهم المفردةُ العُليا. فهو، إذاً، إعلامٌ يَنتزحُ صوبَ دوّامةِ وحشيّةِ بيوتِ المال.

الاعلامُ هذا يستثير مَن هم ومَن يَشتهون أن يكونوا في سدّة السلطة، فيبذلون في سبيل قفيره ما يبذلون، ويستأثرون بما يستأثرون، فإذا نحن أمام وحشيّةٍ مضاعفة، وصاعقةٍ لما عداها ومَن عاداها.. هي وحشيّةُ الترويج، الذي لا يفتأ يُلحّ ويَلجّ حتّى قضاءِ أغراضه في سيادةِ النفوس واستباحةِ الأعراف والأعراض.

إزاء الصورةِ هذه،

من ذا الذي لا يستشعر التسخيرَ المستدام لجملة القيم الأخلاقيّة والمجتمعيّة وسواها؟

بل من لا يؤذيه هذا التسخيفُ المخيف لعقول الناس وتراثاتهم؟

ومن لا يُرجِفه هذا التزييفُ القاتلُ للآمال والأحلام في بناء مستقبل نبيل وجميل للأبناء وديارهم؟

الاعلام في أزْمة. في مأزِق..

لأنّ المستثمرين، في حقل السلطة وفي حقل المال، لا يعملون ولا يعلمون كيف يضعون حدّاً أو حدوداً لاندفعاتهم أو مغامراتهم، فهم لا يرون في الناس إلاّ زبائنَ وأرقاماً. وإنّهم، وإنْ أو مهما ادّعَوا وأوهموا أنّهم لا يتطلّعون إلاّ إلى خدمة الانسان في حقوقه وواجباته، فهم لا يُضمرون ولا يَستهدفون إلاّ تقويةَ قواهم هم. فمصالحُهم هم، بمعاييرهم هم، هي فوق كلّ اعتبار. أمّا الآخرُ فطارئٌ وهامشيّ؛ ولا سبيلَ له، بحاجاته وتساؤلاته، ليصغيَ إلى ذاته في ذواتهم. إعلامُهم إعلامٌ

قابض، أخطبوطيٌّ، جامعٌ مانع...، لا يتواصل مع الآخر لينقلَ إليه سرَّ الأشياء ويعيدَ إليه سرَّه هو. وأين الغرابةُ، ما دام أنّنا حيال إعلامٍ تسليعٍ وترويج؟!

ولكنْ، أما بعدُ من إعلامٍ آخرَ، إعلامٍ للآخرِ.. علميٍّ ورسوليّ؟ وكيف يَنشَّط ويَنمّى، ويؤتي الزَهَرَ الذي يُمتع والثَمَرَ الذي يُفيد؟

بلى. وهذا الاعلامُ يكون، ويمكن أن يكون، حيثُ الاعلاميُّ يَعلمُ ليُعلِمَ ويعلّمَ؛ وحيثُ هذا الاعلاميُّ.. أناهُ مذبحُ اللقاءِ بالآخر، في طقوسيّةٍ حَدّاها شَهادةُ السِّيماء وفطنةُ النباهةِ والاصغاء؛ وحيثُ ثمّةَ فكرٌ وشعرٌ ونبوّاتٌ ولغاتٌ حسان– وهل مَن يدّعي أنّ العلمَ، إنّ كان الاعلامُ علماً وحَسْب، نَفورٌ من الملاحات والرسالات؟!

أَنْ نَعرُضَ سلعاً بالترويج، أو نَعرِضَ لقيمٍ بالترسّل،.. ها هنا لبُّ المسألة. فالمحكُّ، بالتّالي، محكُّ منطلقاتٍ وأهداف.. محكُّ ثقافةٍ ومشروع!

واستطراداً، ومن زاوية مقاربة القيم، على خلفيّة معطيات الواقع، في مضاميرِ السياسة والاقتصاد والاجتماع وما إليها، ألا يبدو أنّ موضوعَ الترسُّل صار في خبر الفساد والإفساد، وأنّك إنْ وقعتَ على مترسّل فَلَكأنّك تقع على إبرة في كومة من الفاسدين والمفسدين؟!

في هذا الزمن، المناعةُ والممانعةُ نُدرةٌ ومُعجزة. وهما مهدّدتان بالانقراض. ولذلك، نرى إلى محميّةٍ لهما، خميراً يؤسّسُ لزمنٍ موعود.

إعلامُنا الاعلامُ في حاجة إلى محميّة، تحول بينه وبين قوارضِ السلطة والمال، هؤلاء الذين يجوّفون الأشياءَ من مضامينها، ويلقونها مُسوخاً على قارعة الطرق. وليته يدرك من يجب أن يدرك أنّ المالَ والسلطة، أيَّ مالٍ وأيّة سلطة، إنْ لم يكونا في خدمة خيرِ الانسان وسعادته وحمايةِ حريّته وكرامته وتأمينِ خلاصه، إنّما هما يستعبدان هذا الانسان ويسلبانه إنسانيّتَه. وإذا كان لا يكون إعلامٌ من دون مالٍ وسلطة، فهلاّ لهذين أن يستبطنا أو يستنبطا ما يروحنهما، فيستويَ، هو الاعلامَ، على كرسيٍّ الحقّ العادل الرحيم؟!

صحيحٌ أنّ الاعلام مرآةٌ عاكسةٌ لأحوال المجتمعات وحالاتها وتحوّلاتها، لكنّ الصحيحَ أيضاً ومعاً أنّه تلك المرآةُ التي تُضفي طبيعتَها محدّبةً أو مقعّرةً أو متكسّرةً أو منبسطةً... على منعكساتها؛ وما الطبيعةُ تلك إلاّ صورةُ أربابها ومآربهم! أفليس أنْ على قَدْرِ الرجال تأتي الأعمال، ومن ثمارهم يُعرفون؟!

اللهمَّ، أَعِنّا على إعلامنا؛ فكثيرُه للحرب، وقليلُه للسلام. ويا ويلَ مَن منّا يستحي أن يَجهرَ بحقيقته، هذا الاعلام، كيف هي وكيف يجب أن تكون، فإنّ دمَ الأمانة عليه وعلى أبنائه...

اللهمَّ، الحَصادُ كثير والمبدعون قليلون..، فَهَبْ إعلامَنا الصبرَ على الإبداع، هذا التحدّي الكبير...

واستطراداً،

وإذ نحن اليوم على أبواب الفصل الثاني، والأخير ربّما، من المجمع البطريركيّ المارونيّ، فأيُّ قول يُقال في الإعلام الذي من همومه الكبرى؟

ففي النصّ الأوّليّ الذي يقع في ٣٣ صفحة، فضلاً عن بعض أحكام ونظرات ملتبسة أو ظرفيّة، معلوماتٌ وشروحات تُستفاد من غير مرجع ومصدر، نرى أنّ التبسّط فيها، على ما حدث، هو من لزوم ما لا يلزم، بل في غير موضعه، في مجمع كنسيّ، جُلُّ شأنه ليس اشتهاءُ الارتقاء على السلّم، بل توسّله إلى زهور تُمتع وثمار تفيد.

فالمقام لا يَحتمل أن يُحمّل بهذه الأرشفيّة الريبورتاجيّة والأكاديميّة وسواها. يكفيه أن يأخذ منها بطَرفٍ أو بلُطف. ففي حَفنة، يَنفخ الرّوحَ، ويقرأ علاماتِ الزمنِ، ويضع السراجَ على المنارة!

ثمّ إنّ من أوجدَ كلّ هذا العجين، لقادرٌ أن يُخرِج منه خميراً لعجين جديد، يُكسَر خبزُه في ملء زمان هذا المجمع!

لا. لن أضيف شيئاً إذا قلتُ إنّ الإعلام مالئ الدنيا وشاغلُ الناس؛ وليس من سبيل، لأيّ كان، إلاّ أن يُميل إليه أذنه وعينه، يَسمع ويشاهد ويَقرأ ما يَنفع ويَضرّ أو يَجمل وينفّر... أَفَوليس هو هذا الإعلام سيولاً، تبدو السدودُ، دون المائجِ الهائج منها، هشّةً، فتجتاحَ منّا حرماتِ القيم وتنصّبَ المحرّماتِ غرباناً على خرائبها؟!

أَلا إنّ الإعلامَ، اليوم، وفي مراياه البابليّةِ صُوَرٌ من سادومَ وعامورة، سلعةُ سلعِ عبادات المال بأشكال وأنواع شتّى، في شعاب الحياة طُرّاً...

فكيف لنا، إذاً، ومن المجمع، أن نطرح ونقارب إشكاليّته ليكون، حقّاً، خدمةً لجميع الناس، تساعد على:

١ - تبليغِهم المعرفةَ صحيحةً سليمةً نزيهة.

٢- ومدِّهم بمعطيات ووسائل تُعينهم على بناء مجتمعات ديمقراطيّة.

٣- وإبراز أهميّة القيم في بناء شخصيّة الفرد منهم، وحيثيّةِ تعاطيه مع الآخر.

نعم. ما الذي تستطيعه الكنيسة حيال هذه الإشكاليّة، والأسئلةُ حولها تكاد تكون غائبةً أو مغيّبةً عن المؤسّسات الإعلاميّة، إلاّ ما يُطرح منها، إنْ طُرِح، عَرَضاً وجزئيّاً وظرفيّاً؟!

ففي النقطة الأولى، هل المعرفة الصحيحة هي التي تعبّر عن نفسها بنفسها، أم هي التفسيرات الأحاديّة والوعظيّة ما ينوب عنها ويقوم مقامها؟ وهل في الإمكان أن نتيح للحدث أن يعلن عن نفسه من دون اجتهاد أو تأويل وأدلجة؟ ومتى نتعلّم كيف نسكت ونفسح للآخر في أن يصغي للحدث ويتقرّى نبضه ويستنبط ويشكّل معرفته؟

وفي النقطة الثانية، وإذ جُلُّ الإعلام على الديمقراطيّة، إنّما يكون يبني قوّته بوسائل لا ديمقراطيّة. فهو يتوغّل في الحيّزات الاقتصاديّة والسياسيّة والثقافيّة وما إليها ليقطف من غلالها قوتاً لكلمةٍ يتملّق بها رضى الأقوياء. فما الآليّات والوسائط التي تجنّب الإعلام هذه الآفة، وتخوّله أن يكونَ مساحة إصغاء لكلّ الذين مسّتهم صعاب الحياة، فيجدوا فيه: واحةً للحوار، ونافذةً للتعبير، ووسيلةً لإعادة قوّتهم، وطريقاً للتعاون والتعاضد تُوفي بهم إلى صياغة قرارات في مصلحتهم ومصلحة المجتمع ككلّ؟ وما العمل لئلاّ يبقى الإعلام سلطة في يد الأقوياء، فيكونَ خدمةً لنصرة الضعفاء؟... مثلُ هذه الأسئلة يستدعي بحثاً عميقاً في حضن الكنيسة، وبالأخصّ في صلب خلفيّة شبكات برامج الأجهزة الإعلاميّة التي تمتلكها أو تتعامل معها، للتصويب والترشيد.

وفي النقطة الثالثة، أنّ الإعلام يبني نفسه على آليّات التشويق والإثارة، ولكنْ مجاوراً الممنوعات؛ فإذا له جولاتٌ في العنف والجنس والتسلّط والاحتيال والمراوغة والشطارات والبطولات الزائفة. فهل، في المتاح أم في المحال، أن نحلم بإعلام مشوّق ومثير، ولكن على قاعدة مغازلة الفضائل، فنستحثّ فضول الناس إلى مغامرات الحبّ الصحيح الصادق، والبطولةِ في عيش القيم كالجدّ والمثابرة والصبر والشجاعة والتضحية والدفاع عن الآخر والغفرانِ والتأمّل!...

ولكي يصبح هذا الحلم واقعاً، فإنّ المطلوب الكَفُّ عن ضرب آليّات الرغبة واللذّة والجاذبيّة،

ودفعُها جميعاً في طريق الارتقاء نحو الفضائل، وحملُ الإعلام على تمثّلها وتمثيلها بأعلى فنيّة ممكنة.

وفي الإشارة إلى الفنيّة، لا بدّ من إنتاجات راقية شكلاً ومضموناً، بعيداً من رياح السهولة والارتجال والركّة التي تعصف بنا. فقليلٌ ثمين أجدى وأبقى من كثير غثّ. فلماذا إذاً هذا التبذير للمال، والتشتيت للقوى، والتوكيل أو الاتّكال على أيٍّ كان؟!

ولعلّ معاهد أو كليّات الإعلام في جامعاتنا قادرةٌ، ببعض تنسيق، أن تتوجّه وتوجّه أساتذتها وطلاّبها إلى مثل هذه الانتاجات، ولاسيّما في مجال الأفلام الوثائقيّة والكراريس المصوّرة والملصقات الملوّنة حول آثارنا وتراثاتنا، فضلاً عن أقراص الترانيم والتراتيل الأصيلة، لا تتزوّد بها وسائلنا المحليّة ومدارسنا وبيوتنا فحسب، بل تكون رابطاً وثيقاً بيننا وبين انتشاريّتنا في أرض الله الواسعة.

ويفيد كثيراً الاقتراحُ بإنشاء فريق عمل من إعلاميّين وكتّاب ومخرجين وموسيقيين، يتبادلون الآراء والخبرات، في سبيل إنضاج رؤيا إعلاميّة على مستويي الداخل والخارج، لتحسين وتحصين الأداء الإعلاميّ عموماً، والكنسيّ المارونيّ خصوصاً، في الوسائل الخاصّة والعامّة، فيكونَ رصدٌ ومشاركة وإبداع...

فإعلامٌ طالعٌ من ثقافة أعماق وأبعاد ينتج حضوراً مطّرداً في الأعماق والأبعاد. وهي هذه الثقافة، إنْ كانت كما يجب، نكون كما يجب.

ولا يغيبَنّ عنّا أنّ أبّوة هذا العصر هي أبّوة إعلاميّة. وأمومةُ الكنيسة، بقيمها، هي الحاضن والضامن لهذه الأبّوة.

خلاصات واستنتاجات

عبدو القاعي

خلاصات واستنتاجات

يستخلص من المداخلات والمناقشات حولها خلال الحلقة الدراسيّة اقتراحات عدّة للتصويب أو التطوير أو التغيير في أدوار الكنيسة المارونيّة في عالم اليوم، نلخّصها بالآتي:

١- بالنسبة للثقافة

أوّلاً: ضرورة أن تساهم الكنيسة المارونيّة في إعادة طرح الأسئلة المفهوميّة والفلسفيّة التي تساعد على فهم الثقافة وعلى إعادة تصويب المسار الثقافيّ السائد حاليّاً في لبنان وفي العالم ككلّ. أهمّ هذه الأسئلة أوردها الدكتور أمين الريحاني في كلمته، وأوجزها بالآتي:

- لو استعنّا بلغة أغسطينوس والأكوينيّ لتساءلنا إلى أيّة درجة قبلت الكنيسة ثقافة الشك توصّلاً إلى ثقافة الايمان؟ وإلى أيّة درجة تبني البيعةُ المارونيّة على المدرسة السكولاستيكيّة التي أخَذَت بها المدرسةُ المارونيّة في روما والتي يمكن التوسّع بها للإفادة من المدارس الفلسفيّة الحديثة خدمةً للايمان؟
- لو قُيِّضَ لنا أن نملك لغة كيركغارد الوجوديّة المؤمنة لتساءلنا معه ما هي الوسائل المعرفيّة التي أفاد منها الموارنة في سبيل التوصّل إلى ثقافة وجوديّة تثري الايمان، وثقافة مؤمنة ترتكز على مقترب وجوديّ معاصر؟
- لو حاولنا الإفادة من نسبيّة ألبرت أينشتاين الفيزيائيّة ونسبيّة بول ريكور في نظريّة التناصّ، أي المعنى النسبيّ للنصّ بعد مقابلته مع نصوص أخرى، لتساءلنا إلى أيّ مدى استعدّت الكنيسة للقبول بنظريّة النسبيّة وتوظيفها في خدمة الايمان أو المعنى الدينيّ؟
- وأخيراً لو حاولنا أن نقترب من لغة هايدغر ومقاربته لمفهوم الزمن لتساءلنا معه ما إذا كان المعنى الدينيّ، سواءً أكان من نتاج كُهّان الهيكل أم من نتاج البيعة، معنىً تاريخيّاً مرتبطاً بالزمان، أم معنىً قديماً قِدَم الله، خارجاً عن الزمان؟ وفي الحالين، كيف تتعامل مع هذين المعنيين المارونيّة في القرن الواحد والعشرين الذي أقلقته هذه الفلسفات، القديمة والحديثة، الإسلاميّة والمسيحيّة؟

- ولو استعنّا بلغة إسلاميّة نسأل هل أنتج الموارنة عبر تاريخهم الثقافيّ "معتزلةً" ناقشت "أشاعرةَ" الطقوس والمعتقدات المارونيّة؟
- وإذا استعنّا أخيراً بلغة متصوّفة نسأل هل أنتج الموارنة عبر تاريخهم الثقافيّ حلاّجَهم؟ هل لديهم ابن عربي، أو ابن الفارض يرتفع بالايمان الخلقيدونيّ إلى ذراه الروحانيّة الخالصة التي تلتقي في سِدرةِ منتهاها إلى تواصل الفلسفة باللاهوت وتداخل اللاهوت بالفلسفة بالايمان؟

ثانياً: ضرورة أن تؤكّد الكنيسة المارونيّة أنّ للثقافة مداخل عديدة، وليست محصورة في بعض التعابير التي تؤدّي اليوم إلى الحصريّة الثقافيّة الكاتمة. ومن أهمّ هذه المداخل التي يفترض إعادة فتحها وفهمها وصياغتها في حياتنا الخاصّة والعامّة، كما وردت في مداخلة د. بولس سرّوع، هي:
- **ثقافة الزمن،** كمعيار للحدث المتحدّر دوماً عبر ديناميّة تحريكيّة تفوق كلّ آنيّة، وعبر تاريخيّة تربط بين الماضي والحاضر والآتي مستقبلاً.
- **ثقافة الأرض،** ككائن حيّ تجتمع فيه العناصر ويتمثّل هو فيها بأكثر من شكل ويترك فيها أكثر من أثر.
- **ثقافة الإيمان،** كفعل قبول وكينونة وتصرّف مرتبط بالتجربة والزمن.
- **ثقافة الإنسان،** كمجموعة أهواء ونوازع وتواريخ ومحطّات وأعراق وأجناس تجعل منه مخلوقاً في غاية التركيب والتعقيد.
- **ثقافة النسك والتفوّق،** كتجربة وجوديّة إيمانيّة يتفوّق بها الإنسان على ذاته كما رسم لنا ذلك الدكتور يوسف يعقوب في مداخلته حول الحرديني.

٢- بالنسبة للتربية

أوّلاً: إعارة التربية، وبخاصّة التربية على القيم الإنسانيّة والروحيّة والمواطنيّة، أهميّة قصوى في السنوات المقبلة، بهدف توضيح الروابط القائمة بين هذه القيم وتحرير التنوّع الثقافيّ من القيود العقائديّة والايديولوجيّة الراديكاليّة التي تكبّله، من أجل بناء الإنسانيّة والمواطنيّة معاً من خلال تكوين إنسانيّ شامل.

ثانياً: إعادة النظر في المسار القيميّ السائد حالياً، والذي يضع القيمة في خانة التقدير

الاجتماعيّ المرتبط بمقاييس النجاح في المنافسة من أجل تضمين هذا المسار آليّات تربويّة جديدة تدفع للارتقاء نحو القيمة الإنسانيّة على طريق الإصغاء إلى الضعفاء والنضال من أجل توفير الحقوق الإنسانيّة للجميع.

ثالثاً: تأسيس صندوق تعاضديّ يؤمّن مساهمة أفراد المجتمع الأثرياء في تربية وإعداد أفراد المجتمع المحتاجين، فيساهمون هكذا في تمكينهم من بلوغ المساواة المنشودة معهم.

رابعاً: إعادة النظر في آليّة نقل المعارف للتمكّن من مواجهة تحدّي تتبّع حركة إنتاجها ومن اتّخاذ القرارات التي تساعد على اختيار المعارف المفيدة في إطار نسبيّ متحرّك.

خامساً: رفع مكانة البحث العلميّ وتوسيع حقول نشاطاته وتعميق الأسئلة البحثيّة المطروحة وترجمتها إلى أسئلة حيويّة حول نوعيّة الحياة وخلقيّاتها.

سادساً: تعميق البحث والحوار بين جميع مؤسّسات المجتمع التربويّة والمهنيّة والاقتصاديّة والسياسيّة حول المعارف والاختصاصات المفيدة بما لها من علاقة مع المنظورات الفكريّة والخلقيّة المرتبطة بالتكوين الإنسانيّ الشامل ومع النشاطات المهنيّة وطريقة مزاولتها في عالم الغد.

سابعاً: التطوير الدائم لمنهجيّات التعليم ووسائله للانتقال من الأسلوب التلقّنيّ للمعارف المسبقة إلى الأسلوب التلقّنيّ للمعارف المتحرّكة في إطار من النسبيّة والتنوّع والتشكّل الدائم لأنواعها وأشكالها ومضامينها، ومن الثبوتيّة في الموقف البحثيّ الواحد الملتزم بحدوديّة اكتشافاته وبلا حدوديّة تطلّعاته.

ثامناً: التمرّس الدائم في مجالات العمل المؤسّسيّ الهادف، لا إلى تثبيت ما هو قائم في المؤسّسات بل إلى تمتين العمل المواطنيّ من داخلها، لكي تبقى المؤسّسات الجامعيّة قادرة على دفع الحقوق الإنسانيّة وتحريكها في المجتمعات، فلا تكتفي بتكييف الناشئة على ما هو قائم من قوانين وتقاليد في هذه المجتمعات.

٣- بالنسبة للسياسة

أوّلاً: توسيع الأسئلة البحثيّة لتطال، كما جاء خاصّة في مداخلة الدكتور ميشال نعمه، الأمور التالية:

- العلاقة بين دور الكنيسة المارونيّة الوطنيّ وبين دورها العالميّ في إطار عالم الانتشار، ومن ضمن الفكر الكاثوليكيّ الشامل.
- العلاقة بين دور الكنيسة المارونيّة مع موارنة لبنان وباقي المسيحيّين في لبنان والشرق وبينهم وبين المسلمين، واليهود وغيرهم من المؤمنين وغير المؤمنين.
- العلاقة بين التزام الكنيسة المارونيّة تجاه صفوف الفقراء والعمّال والمهمّشين والمنبوذين والالتزامات السياسيّة اليسارية والانسانيّة الأخرى، في لبنان والعالم، ومع المناضلين من أجل صفوف الانسان.
- العلاقة بين الكنيسة المارونيّة والكنائس الأخرى في العالم، وبخاصّة الكنائس الأميركيّة الكاثوليكيّة منها والبروتستنتيّة المرتبطة بالقوى السياسيّة الفاعلة في أميركا والعالم.
- العلاقة وبين الكنيسة المارونيّة المنتظمة في إطار جمعيّات مدنيّة في مجالات العمل التربويّ أو الاجتماعيّ بين الجمعيّات المدنيّة الأخرى التي تناضل من أجل الحقوق وتطوير مدنيّة المجتمعات خارج الإطار الكنسيّ.
- العلاقة بين الكنيسة المارونيّة كمموّلة للمشاريع الإنمائيّة والمؤسّسات العالميّة العاملة في مجالات التمويل في كالبنك الدوليّ وبنك التسليف الدوليّ ومنظّمة التجارة العالميّة.

ثانياً: تطوير دور لبنان الحضاريّ والروحيّ كدور من أدوار الكنيسة المارونيّة الرسوليّة.

ثالثاً: التركيز في عمل الكنيسة الرسوليّ على دعم حقوق الانسان من أجل قيام دولة المؤسّسات والحقوق في لبنان.

رابعاً: تعميق البحث حول آليّات الحوار المعتمدة على الصعيدين الروحيّ والمدنيّ من أجل نقل هذا الحوار من الساحة التي يتمّ البحث فيها عن الروابط العقائديّة الفكريّة والثقافيّة المشتركة إلى المساحة الايمانيّة الواسعة التي تسمح بتضمين الفوارق والاختلافات ضمن نظرة مدنيّة وإنسانيّة شاملة.

خامساً: التركيز في كلّ الأعمال الرسوليّة على الالتزامات التي دعا إليها الإرشاد الرسوليّ، وأهمّها:

- تكريس دور الكنيسة في الإرشاد السياسيّ عبر المراقبة والتنبيه والتحذير وتحديد الأخطار وإظهار السيّئات والعيوب.

- تثبيت الروحيّة الميثاقيّة التي انطلقت من ميثاق ١٩٤٣، وتكرّست في اتّفاق الطائف.
- تبنّي صياغة سليمة كمفهوم اتّفاق الطائف.
- تكوين مواطنيّة تاريخيّة تسعى إلى التوفيق بين معادلتي الميثاقيّة الطائفيّة والعلمانيّة التي تطبّق تشريعات الدول الديموقراطيّة.
- الإسراع في تشكيل وحدة الكنيسة المارونيّة الرعويّة عبر إنشاء هيئة كنسيّة أسقفيّة رعويّة مستمرّة.

٤- بالنسبة للقضايا الاجتماعيّة

أوّلاً: أن تعمل الكنيسة المارونيّة في السنوات المقبلة على إعادة تنظيم إدارة الخدمات الاجتماعيّة والتربويّة في مؤسّساتها وفي مختلف المؤسّسات العاملة في لبنان، وأن تناضل من جل التصدّي للفساد المنتشر حاليّاً عبر تداخل السياسة بالاقتصاد واستعمال الحلّ الاجتماعيّ كوسيلة لجذب الناس وربطهم تبعيّاً بالمصالح السائدة.

ثانياً: تعزيز ثقافة حقوق الإنسان في أذهان أبناء الكنيسة المارونيّة أوّلاً، وفي أذهان اللبنانيّين ككلّ ثانياً؛ والتركيز في سبيل ذلك على تطوير آليّات تحقيق العدالة الاجتماعيّة، خاصّة في مجالات الخدمات التربويّة والاجتماعيّة التي تقوم بها الكنيسة المارونيّة في علاقتها مع مختلف المؤسّسات الأخرى الروحيّة والمدنيّة.

ثالثاً: النضال من أجل تطوير ثقافة حقوق الإنسان في محيط لبنان العربيّ عبر تبنّي القضايا الاجتماعيّة المحقّة، كقضايا الأطفال والمرأة والعدالة والظلم وخاصّة في ما يعود لقضيّة فلسطين، والديموقراطية بأشكالها التعبيريّة المختلفة.

رابعاً: تطوير البحث في مجالات توظيف الرأسمال في الحقول الاجتماعيّة عبر نشاطات تساعد على توظيف عدد كبير من اليد العاملة الشاغرة، وفي تحسين نوعيّة الحياة.

خامساً: إنشاء مكاتب إصغاء وتوجيه للناشئة في المدارس والجامعات وللمرضى في المستشفيات، من أجل المساندة والإرشاد في مجالات المشكلات التي يتعرضون لها.

سادساً: إيجاد مراكز رعاية وحماية ومتابعة متخصّصة تهتمّ بالفئات التالية:

القاصرون والمغتصبون

المعنَّفون في أسرهم
البائسون والمحبطون
اليائسون والذين هم في خطر الانتحار
الأمّهات العازبات

سابعاً: تطوير البحث وتعميمه حول المشكلات الاجتماعيّة وسبل معالجتها.

ثامناً: إعداد فرق للإغاثة والإعانة العاجلة في حالات الطوارئ، وذلك في مؤسّسات العمل الاجتماعيّ جميعاً، يتشارك فيها أطبّاء، وحقوقيّون، ومساعدون اجتماعيّون/ ومهندسون ومعالجون نفسيّون، ومرشدون روحيّون.

تاسعاً: تعزيز التنسيق في المجال الاجتماعيّ والروحيّ بين أبرشيّات الكنيسة المارونيّة، وبين سائر المؤسّسات الكنسيّة العاملة في الحقل الاجتماعيّ.

٥- بالنسبة للاقتصاد

هناك مهمّتان رئيسيّتان، على الكنيسة إيلاؤهما الاهتمام في السنوات المقبلة، كما يُستنتج من المداخلات التي قدّمت في هذا المجال، وبخاصّة مداخلة الدكتورة ڤيڤيان نعيمه:

المهمّة الأولى

تقتضي تسويغ الالتزام الاقتصاديّ للكنيسة. فالكنيسة هي أوّلاً كنيسةُ الفقراء، وعليها أن توقظَ الضميرَ الهاجعَ على ضرورةِ الاندماجِ الاجتماعيِّ مِنْ أجل التطوُّر الشامل والإنماء المتوازن.

المهمّة الثانية

تتعلّق بتحديد أشكال التزام الكنيسة في الحياة الجماعيّة، وتتضمّن اقتراحات إجرائيّة، نحدّد أهمّها بالتالي:

أوّلاً: العمل على تغيير المؤسّسات المدنيّة في اتجاه العدالة، وبخاصّة لمصلحة الفقراء.

ثانياً: استعمال الأملاك الكنسيّة في سبيل خلق فرص للعمل ولتطوير الوضع الاقتصاديّ العام.

ثالثاً: العمل على ربط الاقتصاد الوطنيّ بالاقتصاد اللبنانيّ المغترب، وباقتصاد بعض البلدان ذات الصلة بلبنان.

رابعاً: ربط الاقتصاد بالثقافة وبخاصّة من خلال العمل على محو الأميّة، ونشر الوعي المواطنيّ في المجتمع، وهذا شرط من شروط التطوّر السياسيّ والاقتصاديّ، نحو تنمية شاملة ومتوازنة ومستدامة.

خامساً: مساعدةُ ذَوي الدخل المحدود على عدم الاستسلام لقدرهم، من خلال ابتكارِ طرائق وتحفيزات تخرج بهم من أوضاعهم المتردّية.

سادساً: اتّخاذُ مواقفَ في شجب الفساد الذي يعتري الدولة، بما في ذلك، إن لزمَ الأمرُ، محاسبةُ المسؤولين.

سابعاً: طرحُ تصوّراتٍ بديلة للسياسات الاقتصاديّة والماليّة المعتمَدَة حاليّاً، التي أخلّت بمبدأي العدالة والمساواة على المستويين المحليّ والعالميّ، انطلاقاً من تعميق البحث العلميّ والخلقيّ الإنسانيّ في المجال الاقتصاديّ.

ثامناً: دعمُ المسارات التصحيحيّة والإصلاحيّة الناجمة عن الطروحات الاقتصاديّة الجديدة التي يقدّمها الباحثون.

تاسعاً: توطيد جهد تنظيميّ لاستغلال أفضل لممتلكات الكنيسة المارونيّة الزراعيّة والعقاريّة، ولمؤسّساتها التربويّة، والاجتماعيّة والصحيّة.

عاشراً: زيادةُ التلاحمِ بين المواطنين بإرشادٍ منَ الكنيسة، بُغْيَةَ تفعيلِ القُدرات البشريّة وتهيئة التغيير الاجتماعيّ الاقتصاديّ.

أخيراً: إعطاء زخم جديد للإصلاح الداخليّ في المؤسّسات الكنسيّة كي تُضحي مثالاً وقُدْوَةً للمجتمع، وتحقيقاً لقيم العدالة والصدق والشفافيّة والتسامح على درب المحبّة. والتركيز على توعية الجيل الصاعد من خلال التربية على أسس العدالة والمساواة.

٦- بالنسبة للإعلام

تبيّن في مجال الإعلام أنّه لا يمكن الفصل بين الكنيسة المارونيّة والهويّة والوطن والتاريخ والصلاة والجبال والبحر واللغة ومواثيق العمل ومبادئ السلوك وقيم التعايش وحقوق الإنسان كواقع وآفاق لتدعيم الرسالة اللبنانيّة، والرسالة المارونيّة من ضمنها في لبنان والعالم.

بناءً عليه، تمّ اقتراح الإجراءات التالية للحدّ من بابليّة الإعلام السائدة حالياً في الإعلام الكنسيّ كما وفي جميع أنواع الإعلام الأخرى (مراجعة ورقة أ. جورج مغامس)

أوّلاً: تعميق البحث في آليّة النشر الإعلاميّ من أجل التوصّل إلى تبليغ المعرفة صحيحة سليمة نزيهة عبر إتاحة الفرص للحدث أن يعرّف عن نفسه من دون اجتهاد أو تأويل أو أدلجة.

ثانياً: دعم الجهود البحثيّة والتطبيقيّة داخل الكنيسة المارونيّة وخارجها لنقل التشويق والإثارة في الإعلام من حلبات العنف والحبس والتسلّط والاحتيال والمراوغة والشطارات والبطولات الزائفة، إلى مجالات مغامرات الحبّ الصادق والبطولة في عيش قيم الجدّ والصبر والمغامرة والصبر والشجاعة والتضحية والدفاع عن الآخر والغفران والتأمّل.

ثالثاً: تعزيز الوسائل الإعلاميّة الديموقراطيّة كمدخل لتعزيز الديموقراطيّة في الإعلام عبر الحدّ من تسلّط الأقوياء على وسائل الإعلام، ومن البحث عن استرضائهم والقيام بالجهود اللازمة لدفع الأقوياء على تمويل إعلام يكون خدمة للإصغاء إلى الجميع ولنصرة الضعفاء في بيتهم.

رابعاً: إنشاء فريق عمل من إعلاميّين وكتّاب ومخرجين وموسيقيّين وباحثين في العلوم الإنسانيّة الاجتماعيّة والنفس- اجتماعيّة، يجهد في سبيل إنضاج رؤيا إعلاميّة على مستويي الداخل والخارج، لتحسين وتحصين الأداء الإعلاميّ عموماً، والكنسيّ المارونيّ خصوصاً، في الوسائل الخاصّة والعامّة بما يتلاءم مع التوجّهات المحدّدة في الاقتراحات الثلاثة أعلاه.

٧- بالنسبة للأرض

يمكن التأكيد على الاقتراحات التالية (راجع مداخلة د. ضومط سلامه).

أوّلاً: تكليف اختصاصيّين من موارنة ملتزمين كي يقوموا بالإجراءات التالية في ما يعود لممتلكات الكنيسة.

- تقييم جميع الممتلكات وتصنيفها وفقاً لوجهات الاستعمال الممكنة لها.
- فصلها إلى عقارات غير صالحة للاستثمار أو غير قابلة للاستثمار، وإلى عقارات صالحة للاستثمار.
- تقسيم العقارات الصالحة للاستثمار إلى حصص متناسبة ومتساوية بقدر الإمكان.

- دراسة شاملة بوضع المحتاجين من أبناء الكنيسة وإثبات وضعهم المحتاج.
- توزيع العقارات بالتساوي على أبنائها المحتاجين لفترات محدودة من الزمن، بين ستّ وعشر سنوات غير قابلة للتجديد، إلاّ إذا لم يكن هناك من محتاجين لم يحصلوا على مساعدة بعد، أو بأيّة طريقة يراها الاختصاصيّون مناسبة.
- أن يدرس الاختصاصيّون نسبة المحاصصة حين يبدأ الاستثمار، كي يأخذ المحتاج قدر أتعابه وأن تأخذ الكنيسة نسبة يجب ألاّ تشكّل خطراً على الوضع لشاغل الأرض الاقتصاديّ.
- كي تشجّع الكنيسة مشاريع البناء وتشجّع أبناءها على التملّك كي يتمكّنوا من تأسيس عائلة وتتسهّل أمامهم كرامة العيش.

ثانياً: إذا ما نظرنا في واقع الموارنة اليوم نرى بأنّ لقب "بطريرك أنطاكية وسائر المشرق" لا يتطابق أبداً مع الواقع على الأرض، ولا مع روحانيّة قرار روما حين أرادت أن تحدّد سلطة البطريرك بالمنطقة التي كان يعيش فيها الموارنة، ولا يجوز ألاّ يؤخذ الواقع وروحانيّة النصّ بعين الاعتبار. فالبطريرك المارونيّ هو أب لأبنائه أينما كانوا وأينما وجدوا، وبالتّالي نقترح أن يعاد النظر في اللقب البطريركيّ ومن خلاله في حدود الصلاحيّة، حفاظاً على الروح العائليّة في الكنيسة وحفاظاً على التراث المارونيّ. هذا الطلب يتناغم مع تشديد قداسة البابا الحاليّ على الحفاظ على التراث والتفاعل الأخويّ والدينيّ بين أبناء الكنيسة الجامعة، والمبنّي على احترام الآخر ومحبّته.

المحتوى

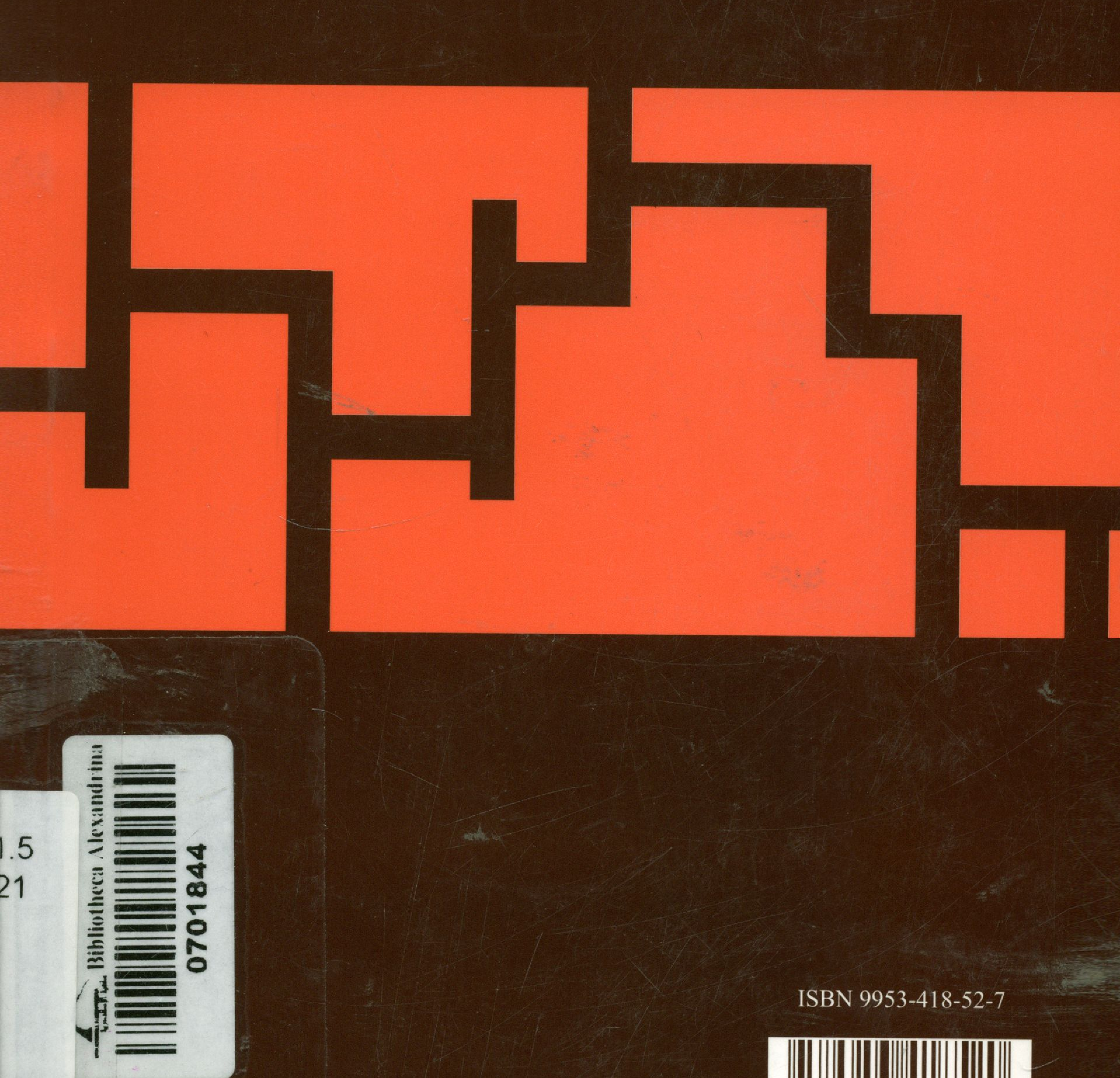
تمهيد

الكنيسة المارونيّة والثقافة

الكنيسة المارونية والأرض

الكنيسة المارونية والتربية

الكنيسة المارونيّة والسياسة



ISBN 9953-418-52-7

9 789953 418520